THAFSIR LITERATURE

STUDY MATERIAL

FIRST SEMESTER
COMPLEMENTARY COURSE : AFU1C01

For

BA AFZAL-UL-ULAMA
(2017 ADMISSION ONWARDS)

UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION
Calicut University P.O, Malappuram, Kerala, India 673635

24 A

UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION

STUDY MATERIAL

FIRST SEMESTER

BA AFZAL-UL-ULAMA

(2017 ADMISSION ONWARDS)

COMPLEMENTARY COURSE:
AFU1C01 : THAFSIR LITERATURE

Prepared by:

Sri. Abdussalam.K
Assistant Professor,
Department of Arabic, University of Calicut.

المحتويات

المقدمة

الوحدة الأولى

مقدمة ابن كثير

تعريف القرآن الكريم

تنزيل القرآن الكريم

السور المكية والمدنية

الوحدة الثانية

أصول التفسير

أصول التفسير (من مقدمة ابن كثير)

مقدمة مفيدة (من مقدمة ابن كثير)

أنواع التفسير

الوحدة الثالثة

تراجم المفسرين

أبو جعفر الطبري

الزمخشري (محمود بن عمر)

الإمام الفخر الرازي

الإمام القرطبي

الحافظ ابن كثير

جلال الدين السيوطي

محمد رشيد رضا

صفي الرحمن المباركفوري

الوحدة الرابعة

تفسير السور

سورة الزمر

سورة الطور

سورة النجم

الوحدة الخامسة

ترجمة معاني القرآن إلى اللغة المليبارية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

يُعدّ علم التفسير من أنفعِ العلومِ على الإطلاقِ؛ فهو يتعلّقُ بكتابِ الله تعالى، فعلمُ التفسير تُعرف من خلالهِ معاني القرآن الكريم، التي تُساعدُ المسلمَ على الاهتداء للعملِ الصالحِ، ونيلِ رضى الله سبحانهُ وتعالى، والفوز بجناتهِ، وبعلم التفسير يتبيّن الإنسان الحق من الباطل، ويزول أيُّ لبسٍ في الوصولِ إلى معاني الآيات ودلالاتها الحقيقيةِ، ومن خلالهِ يصل الفقيه إلى استنباطِ الأحكامِ الشرعية؛ إذ يُعتبر القرآن الكريم الدليل التفصيليّ الأول للمعرفةِ والاستدلالِ على الأحكامِ الشرعية العملية.

اعددت هذه المواد حسب منهج الدراسة للبكالوريوس في "أفضل العلماء" بجامعة كاليكوت، مع مطالعة كتب التفاسير وعلوم القرآن. وقسّمت المنهج الى خمسة وحدات، وأن مقدمتي ابن كثير من المواد المعينة حسب المنهج الدراسي، فأوردت هاتين المقدمتين وبوبته بأبواب فروعية.

اعتمدت للتفسير على "صفوة التفاسير" لمحمد على الصابونى، وهذا تفسير بعبارة سهلة وبترتيب حسن مع مقدمة لكل سورة. اعتمد المصنف لهذا التفسير على التفاسير المعتمدة المقبولة مثل تفسير ابن كثير والبغوى والرازي والجلالين وغيرها.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وان يسهل للطلاب هذه المواد المفيدة، وأن يسدد خطانا، ويحقق رجائنا، انه سميع مجيب، وهو حسبي ونعم الوكيل.

عبد السلام الوفى الندوى

الأستاذ المساعد

قسم اللغة العربية

جامعة كاليكوت

Course Outline

COMPLEMENTARY COURSE

Thafsir Literature (AFU1C01)

Unit 1

الأمر بفهم القرآن (من مقدمة ابن كثير 24- 47)

تعريف القرآن

نزول القرآن

السور المكية والمدنية

Unit 2

أصول التفسير (من مقدمة ابن كثير)

أنواع التفسير

Unit 3

المفسرون

1 الطبري 2 ابن كثير 3 الزمخشري 4 الرازي

5 محمد رشيد رضا 6 القرطبي 7 السيوطي 8 المباركفوري

Unit 4

Study of the following Suras

1 الزمر. 2 الطور 3 النجم

Unit 5

ترجمات معاني القرآن إلى اللغة المليبارية

Books for Reference

1 مقدمة تفسير ابن كثير

2 التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي

3 جامع البيان في تفسير القرآن للطبري

4 مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقاني

الوحدة الأولى

مقدمة ابن كثير[1]

قال الشيخ الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير رحمه الله تعالى ورضي عنه.

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [2] وقال تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * [3].

وافتتح خَلْقه بالحمد، فقال تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ [4].

واختتمه بالحمد، فقال بعد ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [5].

---

[1] هذا من مقدمة "تفيسر القرآن العظيم" لإبن كثير رحمه الله. لخصته قليلا بحذف الأسانيد وغيره، ومن يريد الملخص اقل من هذا يبحث ملخص محمد على الصابونى وغيره، يجده ملخصا الى صفحتين او ثلاث صفحات. وان ابن كثير ما أتى فى مقدمته إلا باب "المقدمة" وباب "المقدمة المفيدة". و كل المطبوعات لهذا التفسير يتضمن هذين المقدمتين حوالي عشرة صفحات فقط.

[2] الفاتحة: 2- 4

[3] الكهف: 1- 5

[4] الأنعام: 1

[5] الزمر: 75

ولهذا قال الله تعالى : وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [6]، كما قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ [7].

فله الحمد في الأولى والآخرة، أي في جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود في ذلك كله، كما يقول المصلى: اللهم ربنا لك الحمد، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد؛ ولهذا يُلْهَم أهل الجنة تسبيحه وتحميده كما يُلْهَمون النَّفَس، أي يسبحونه ويحمدونه عدد أنفاسهم؛ لما يرون من عظيم نعمه عليهم، وكمال قدرته وعظيم سلطانه، وتوالى مِنَنه ودوام إحسانه، كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [8].

والحمد لله الذي أرسل رسله مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ [9]، وختمهم بالنبي الأمي العربي المكي الهادي لأوضح السبل، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن، من لدن بعثته إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [10]، وقال تعالى: لأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ[11] . فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعَجَم، وأسودَ وأحمرَ، وإنس وجان، فهو نذير له؛ ولهذا قال تعالى: وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ [12]. فمن كفر بالقرآن ممن ذكرنا فالنار موعده، بنص الله تعالى، وكما قال تعالى: فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لايَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ [13]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بُعِثتُ إلى الأحمر والأسود. قال مجاهد: يعني: الإنس

[6] القصص: 70
[7] سبأ: 1
[8] يونس: 9، 10
[9] النساء: 165
[10] الأعراف: 158
[11] الأنعام: 19
[12] هود: 17
[13] القلم: 44، 45

والجن. فهو- صلوات الله وسلامه عليه- رسول الله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن، مُبَلِّغًا لهم عن الله ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذي لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد [14].

وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه نَدَبهم إلى تَفَهُّمه، فقال تعالى: أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا [15] ، وقال تعالى: كِتَابٌ أَنزلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ [16] ، وقال تعالى: أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا [17].

فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتَعلُّم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ [18] ، وقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [19]. فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله إليهم، وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله.

فعلينا - أيها المسلمون - أن ننتهي عما ذمَّهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تَعَلُّم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه، قال الله تعالى: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نزلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [20]. ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها، كذلك يلين القلوب بالإيمان بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي، والله المؤمل المسؤول أن يفعل بنا ذلك، إنه جواد كريم.

---

[14] فصلت: 42
[15] النساء: 82
[16] ص: 29
[17] محمد: 24
[18] آل عمران: 187
[19] آل عمران: 77
[20] الحديد: 16، 17

تعريف القرآن الكريم

القرآن الكريم لغةً

اختلف العلماء في المعنى اللغويّ للقرآن الكريم على أقوال:

"قرأ": تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا. قال تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ, فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}[21]. أي قراءته، فهو مصدر على وزن "فُعلان" بالضم: كالغفران والشكران، تقول: قرأته قرءًا وقراءة وقرآنًا، بمعنى واحد. سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر[22].

وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- فصار له كالعلم الشخصي.

ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته، فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول إنه يقرأ القرآن: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا} وذكر بعض العلماء أن تسمية هذا الكتاب قرآنًا من بين كتب الله لكونه جامعًا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم. كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} 2، وقوله: {مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيءٍ}

منهم من قال إنَّ القرآن اسم عَلَمٍ غير مُشتقٍّ من جذرٍ لغوي وغير مهموزٍ (أي قران)، وهو بذلك اسمٌ اختصَّ الله تعالى به الكتاب الذي نزل على النّبي -عليه الصّلاة والسّلام- كما في أسماء الكتب الأخرى التّوراة والإنجيل، وهذا القول مُنتقلٌ عن الشافعيّ وغيره.

---

[21] القيامة: 17، 18

[22] مباحث في علوم القرآن : مناع القطان : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع : الطبعة الثالثة 1421هـ - 2000م

ومن العلماء من ذهب إلى القول إنَّ القرآن اسمٌ مشتقٌّ من القرائن؛ لأنَّ الآيات يُصَدِّق بعضها بعضاً، ويُشابه بعضه بعضاً كالقرينات، أي المُتشابهات، وهذا قول الفرَّاء.

قيل إنَّه لفظٌ مهموز (أي قرآن)، وهو مشتقٌّ من قَرَأ ومصدرٌ له، وهذا ما ذهب إليه اللحيانيّ وغيره.

ذهب الزَجَّاج وغيره إلى القول بأنَّ القرآن وصفٌ مشتقٌّ من القَرْءِ أي الجمع، ومثال ذلك: قرأت الماء في الحوض؛ أي جمعته فيه، وسُمِّي القرآن بذلك لأنَّه جمع السّور بعضها إلى بعضٍ، أو لأنَّه جمع ثمرات وفوائد الكتب السَماويَّة التي نزلت قبله كما قال الرّاغب.

القرآن الكريم اصطلاحاً

يُعرَّف القرآن الكريم في الاصطلاح الشرعيّ بأنَّه كلام الله تعالى المُعجَز، المُوحَى به إلى النّبي محمد -عليه الصّلاة والسّلام- بواسطة المَلك جبريل -عليه السّلام-، المنقول بالتّواتر، المَكتوب بين دفَّتَي المُصحف، المتعبَّد بتلاوته، المَبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة النّاس[23]:

[23] السيوطي (1974)، الإتقان في علم القرآن، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، صفحة 181-182، جزء 1. بتصرّف.

تنزيل القرآن الكريم

بدأ نزول القرآن الكريم على محمد عليه الصّلاة والسّلام وهو في غار حراء بأول سورة العلق: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) إيذاناً من الله تعالى إلى النبي -عليه الصّلاة والسّلام- ببداية التّكليف ولزوم الدّعوة، واستمر نزوله لثلاثٍ وعشرين سنةً على رسول الله -عليه الصّلاة والسّلام- مُنجَّماً (أي مُفرَّقًا وليس جملةً واحدة)، وتكمن الحكمة من نزوله مُفرَّقاً في تثبيت قلب النّبي -عليه الصّلاة والسّلام- وتأييده المُستمرّ بإيحاء القرآن الكريم إليه، وتمكينه من حفظه وتلقينه للصّحابة -رضوان الله عليهم-، كما أنَّ من أسباب نزوله مُفرَّقاً أنَّه كان ينزل لبيان أحكام بعض الأحداث والمُناسبات التي كانت تقع في عهد النّبي -عليه الصّلاة والسّلام-، أو الإجابة عن بعض المسائل، وقد قُسِّمَ القرآن الكريم حسب زمن نزوله إلى مكيٍّ ومدنيّ؛ فما نزل قبل الهجرة يُسمّى مكيّاً، وما نزل بعدها يُسمَّى مَدنيّاً[24].

[24] أبو زهرة (1970)، المعجزة الكبرى القرآن (الطبعة الأولى)، القاهرة: دار الفكر العربي، صفحة 21-22. بتصرّف.

السور المكية والمدنية

سور القرآن الكريم تقسم في تصنيفها إلى سور مكية و أخرى مدنية، و تختلف السور المكية في مواضيعها ومميزاتها وضوابطها عن تلك المدنية.

فقد ذكر الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن اختلاف العلماء في ذلك فقال: اعلم أن للناس في ذلك ثلاثة اصطلاحات:

أحدها: أن المكي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة.

والثاني وهو المشهور: أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة .

والثالث: أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة، وعليه يحمل قول ابن مسعود الآتي؛ لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخوطبوا: يَا أَيُّهَا النَّاسُ وإن كان غيرهم داخلاً فيها، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وإن كان غيرهم داخلاً فيهم.

ونص كلام ابن مسعود هو كما رواه الحاكم والبيهقي وغيرهما: كل شيءٍ نزل فيه يا أيها الناس فهو بمكة، وكل شيء نزل فيه يا أيها الذين آمنوا فهو بالمدينة.

قال الزركشي : وقد نص على هذا القول جماعة من الأئمة، منهم أحمد بن حنبل وغيره، وبه قال كثير من المفسرين ونقله عن ابن عباس، وهذا القول - أي قول ابن مسعود - إن أخذ على إطلاقه ففيه نظر، فإن سورة البقرة مدنية وفيها: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ [البقرة:21]، وفيها: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً [البقرة:168].

وسورة النساء مدنية وفيها: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ [النساء:1]

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ [النساء:133]. وسورة الحج مكية وفيها: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا [الحج:77].

فإن أراد المفسرون أن الغالب ذلك فهو صحيح، ولذا قال مكي: هذا إنما هو الأكثر وليس بعام، وفي كثير من السور المكية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا .

والأقرب تنزيل قول من قال مكي ومدني على أنه خطاب المقصود به أو جل المقصود به أهل مكة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كذلك بالنسبة لأهل المدينة. ا.هـ

ولكل منهما علامات يعرف بها، ذكرها الزركشي بقوله: ومن جملة علاماته أن كل سورة فيها: يا أيها الناس وليس فيها يا أيها الذين آمنوا فهي مكية، وفي الحج اختلاف، وكل سورة فيها: كلا، فهي مكية، وكل سورة أولها حروف المعجم فهي مكية إلا البقرة وآل عمران وفي الرعد خلاف . وكل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة. وكل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية سوى العنكبوت.

وقال هشام - بن محمد بن السائب الكلبي- عن أبيه: كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية، وكل ما كان فيه ذكر القرون الماضية فهي مكية. ا.هـ .

وعدد السور المكية 82 سورة ومنها: الأنعام، الأعراف، يونس، هود،، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الفرقان، يوسف، إبراهيم ، الخ.....

وعدد السور المدنية 20 سورة وهم: « البقرة، آل عمران، النساء،، الأحزاب، محمد، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، المائدة، الأنفال، التوبة، النور الممتحنة، الجمعة، المنافقون، الطلاق، التحريم، والنصر».

أما السور التي اختلف فيها العلماء إن كانت مدنية أو مكية فعددها 12 سورة و هي : «الفاتحة، الرعد، المطففين، القدر، البينة، الزلزلة، الرحمن، الصف، التغابن، الإخلاص، الفلق،والناس».

الوحدة الثانية

أصول التفسير

تعريف أصول التفسير[25]

أصول التفسير مركب إضافي، وهو في ذاته اسم لعلم خاص، ولكن تركيبه الإضافي يكوّن جزءاً من حقيقيه، فهو ليس اسماً خاصاً قد انقطع عن أصل الإصافة التي تتكون من المضاف والمضاف إليه، ولذا كان لا بدّ من تعريفه من تعريف جزأيه، ولهذا السبب نتجه إلى تعريف هذين الجزأين فنقول:

الأصول: جمع أصل، وهي في اللغة عبارة عما يفتقر إليه، ولا يفتقر هو إلى غيره، والأصل ما يثبت حكمه بنفسه، ويُنبى عليه غيره وذلك لأن علم أصول التفسير عنج الأصوليين هو ما يُبنى عليه التفسير حسب قواعده ومناهجه.

وأما التفسير: ففي اللغة: هو الكشف والإظهار، ومنه قوله تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: 33] أي بيانا وتفصيلا، فالتفسير لغة: يُستعمل في الكشف الحسي، وفي الكشف عن المعاني والمعقولة، وفي الشرع: هو توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة.

وهكذا يتبين أن الفارق بين التفسير وأصوله، هو أن الأصول هي المناهج التي تُحد وتبين الطريق الذي يلتزمه المفسر في تفسير الآيات الكريمة، وأما التفسير فهو إيضاحها مع التقيد بهذه المناهج.

وإن مثل علم أصول التفسير بالنسبة للتفسير، كمثل علم النحو بالنسبة للنطق العربي والكتابة العربية؛ فهو؛ ميزان يضبط القلم واللسان، ويمنعها من الخطأ في آخر الكلم، فكذلك علم أصول التفسير هو ميزان للفسر

[25] هذان الصفحتان (ص 16،17) من كتاب "أصول التفسير وقواعده" لخالد عبد الرحمن العك ص 30،31 ،الطبعة الثانية، دار النفائس، دمشق 1986

يضبطه ويمنعه من الخطأ في التفسير، ولأن ميزان فإنه يتبين به التفسير الصحيح من التفسير الفاسد، كما يعرف بالنحو الكلام الصحيح من غير الصحيح وهكذا...

غايته:

وغاية هذا العلم معرفة معاني النظم القرآني الكريم، وتضيح آياته وكشف معانيها وتبيين أحكامها وحكمها، للتوصل إلى حقيقة كتاب الله العزيز، ليُفاز به إلى سعادتي الدنيا والآخرة

فائدته:

وفائدته حصول القدوة والمَلَكة في العقل البشري لاستخراج أحكام القرآن الكريم وحكمه، ومعرفة مراتب الحجج والأدلة من آياته وكشفها وتوضيح معانيها، وإدراك مواطن عبرها إلى غير ذلك على وجه الصحة والدقة العلمية.

موضوعه:

وموضع هذا العلم كلام الله سبحانه وتعالى الذي منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، وشرف العلم وجلالته باعتبار موضوعه وغايته؛ فهو أشرف العلوم وأعظمها!!.

أصول التفسير[26]

فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟

فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يُفَسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، رحمه الله: كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن. قال الله تعالى: " إِنَّا أَنزلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا"[27]، وقال تعالى: " وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[28]، وقال تعالى: وَمَا أَنزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[29]. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أَلَا إِنِّيْ أُوْتِيْتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ " يعني: السنة. والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي، كما ينزل القرآن؛ إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن، وقد استدل الإمام الشافعي، رحمه الله وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك. والغرض أنك تطلب تفسيرَ القرآن منه، فإن لم تجدْه فمن السنة. كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: بم تحكم؟ قال: بكتاب الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي. قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره، وقال: "الحمد لله الذي وفَّق رَسُولَ رسولِ الله لما يرضى رسول الله"،

وحينئذ، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبد الله بن

---

[26] النص الآتى من مقدمة ابن كثير رحمه الله ولكن التبويب ليس من ابن كثير، وانه اتى بباب "المقدمة" وباب "المقدمة المفيدة" فقط.

[27] النساء: 105
[28] النحل: 44
[29] النحل: 64

مسعود، رضي الله عنه. فقد قال عبد الله ابن مسعود: والذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت؟ وأين نزلت؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته. وقال الأعمش أيضًا، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا.

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترجمان القرآن وببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له حيث قال: " اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ ". وروى ابن جرير عن عبد الله- يعني ابن مسعود: "نعْم ترجمان القرآن ابنُ عباس" . وروي هذا بإسناد صحيح إلى ابن مسعود: وأنه قال عن ابن عباس هذه العبارة. وقد مات ابن مسعود، رضي الله عنه، في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح، وعُمِّر بعده ابن عباس ستًا وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود؟.

روايات الإسرائيليات

قال الأعمش عن أبي وائل: استخلف علِيّ عبد الله بن عباس على الموسم، فخطب الناس، فقرأ في خطبته سورة البقرة، وفي رواية: سورة النور، ففسرها تفسيرًا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا.

ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره، عن هذين الرجلين: عبد الله بن مسعود وابن عباس، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب، التي أباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: "بَلِّغوا عني ولو آية، وحَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج، ومن كذب عَلَيَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار" رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو؛ ولهذا كان عبد الله بن عمرو يوم اليرموك قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك.

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدّتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلَّم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم. ولكن نَقْلُ الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا [30] ، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث، فدل على صحته إذ لو كان باطلا لرده كما ردهما، ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فقال في مثل هذا: قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس، ممن أطلعه الله عليه؛ فلهذا قال: فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب. فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فتشتغل به عن الأهم فالأهم. فأما من حكى خلافًا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه. أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال، فهو ناقص أيضًا. فإن صحح غير الصحيح عامدا فقد تعمد الكذب، أو جاهلا فقد أخطأ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالا متعددة لفظًا

---

[30] الكهف: 22

ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى، فقد ضيع الزمان، وتكثر بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب.

قال سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد: كان ابن عباس إذا سئل عن الآية في القرآن قال به، فإن لم يكن وكان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر به، فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، فإن لم يكن اجتهد برأيه.

تفسير التابعين

إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جَبْر فإنه كان آية في التفسير، كما قال محمد بن إسحاق: حدثنا أبان بن صالح، عن مجاهد، قال: عَرضْتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها. عن ابن أبي مُلَيْكَة قال: رأيت مجاهدًا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه، قال: فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله. ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. وكسعيد بن جُبَيْر، وعِكْرِمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق ابن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مُزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ، يحسبها من لا علم عنده اختلافًا فيحكيها أقوالا وليس كذلك، فإن منهم من يعبّر عن الشيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي. وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة؟ فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني: أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك.

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام، لما رواه محمد بن جرير، رحمه الله، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قال في القرآن برأيه، أو بما لا يعلم، فليتبوأ مقعده من النار". وهكذا أخرجه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال ابن جرير عن جُنْدب؛ أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال: "من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ". وقد روى هذا الحديث أبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القُطعي، وقال الترمذي: غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل. وفي لفظ لهم: "من قال في كتاب الله برأيه، فأصاب، فقد أخطأ" أي: لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخف جرمًا ممن أخطأ، والله أعلم،

وهكذا سمى الله القَذَفة كاذبين، فقال: فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ[31] ، فالقاذف كاذب، ولو كان قد قذف من زنى في نفس الأمر؛ لأنه أخبر بما لا يحل له الإخبار به، ولو كان أخبر بما يعلم؛ لأنه تكلف ما لا علم له به، والله أعلم. ولهذا تَحَرَّج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، كما روى شعبة، عن أبي مَعْمَر، قال: قال أبو بكر الصديق، رضي الله عنه: أيّ أرض تقلّني وأي سماء تظلني؟ إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وقال أبو عبيد القاسم عن إبراهيم التَّيْمِي؛ أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله:"وَفَاكِهَةً وَأَبًّا"[32] ، فقال: "أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني؟ إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم". (منقطع). وقال أبو عبيد أيضًا: حدثنا يزيد، عن حميد، عن أنس؛ أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: "وَفَاكِهَةً وَأَبًّا"، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر.

وقال عَبْد بن حُمَيْد، عن أنس، قال: كنا عند عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وفي ظهر قميصه أربع رقاع، فقرأ: "وَفَاكِهَةً وَأَبًّا" فقال: ما الأب؟ ثم قال: إن هذا لهو التكلف فما عليك ألا تدريه. وهذا كله محمول على أنهما، رضي الله عنهما، إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب، وإلا فكونه نبتا من الأرض ظاهر لا يجهل، لقوله: "فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا"[33] ..... .

---

[31] النور: 13

[32]

[33] عبس: 27، 28

وقال ابن جرير عن ابن أبي مُلَيْكَة: أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها. (إسناده صحيح).

وقال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، قال: سأل رجل ابن عباس عن" يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ"[34] ، فقال له ابن عباس: فما "يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ"[35] ؟ فقال له الرجل: إنما سألتك لتحدثني. فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه، الله أعلم بهما. فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.

وقال- أيضًا- ابن جرير عن الوليد بن مسلم، قال: جاء طَلْق بن حبيب إلى جُنْدُب بن عبد الله، فسأله عن آية من القرآن؟ فقال: أحرِّج عليك إن كنت مسلمًا إلا ما قمتَ عني، أو قال: أن تجالسني. وقال مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: إنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: إنا لا نقول في القرآن شيئًا. وقال الليث، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: إنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن.

وقال شعبة، عن عمرو بن مُرَّة، قال: سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال: لا تسألني عن القرآن، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء، يعني: عكرمة. وقال ابن شَوْذَب: حدثني يزيد بن أبي يزيد، قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت، كأن لم يسمع.

وقال ابن جرير: حدثني أحمد بن عبدة الضَّبِّيُّ، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عبيد الله بن عمر، قال: لقد أدركتُ فقهاء المدينة، وإنهم ليعظِّمون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع. وقال أبو عبيد عن هشام بن عُرْوَة، قال: ما سمعت أبي تَأَوَّل آية من كتاب الله قط.

وقال أيوب، وابن عَوْن، وهشام الدَّسْتوائِي، عن محمد بن سيرين: سألت عبَيدة السلماني، عن آية من القرآن فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن؟ فاتَّق الله، وعليك بالسداد. وقال أبو عبيد: حدثنا معاذ، عن ابن عون، عن عبد الله بن مسلم بن يسار، عن أبيه، قال: إذا حدثت عن الله فقف، حتى تنظر ما قبله وما بعده. حدثنا هُشَيْم، عن مُغيرة، عن إبراهيم، قال: كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه. وقال شعبة عن عبد

[34] السجدة: 5
[35] المعارج: 4

الله بن أبي السَّفْر، قال: قال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها، ولكنها الرواية عن الله عز وجل. وقال أبو عبيد: عن مسروق، قال: اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن الله.

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به؛ فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعًا، فلا حرج عليه؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه، لقوله تعالى: "لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ"[36] ، ولما جاء في الحديث المروى من طرق: "من سئل عن علم فكتمه، أُلْجِم يوم القيامة بلجام من نار". فإن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يعذر أحد في جهله، كما صرح بذلك ابن عباس، فيما قال ابن جرير عن الأعرج قال: قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لايعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله.

[36] آل عمران: 187

مقدمة مفيدة[37]

قال أبو بكر بن الأنباري : حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، عن حجاج بن منهال، عن همام ، عن قتادة قال : نزل في المدينة من القرآن البقرة ، وآل عمران، والنساء، والمائدة ، والأنفال ، وبراءة ، والرعد ، والنحل ، والحج ، والنور ، والأحزاب، ومحمد، والفتح ، والحجرات ، والحديد ، والرحمن ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة، والصف، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، ويا أيها النبي لم تحرم ، وإلى رأس العشر، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله . هؤلاء السور نزلت بالمدينة ، وسائر القرآن نزل بمكة.

فأما عدد آيات القرآن فستة آلاف آية ، ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال، فمنهم من لم يزد على ذلك ، ومنهم من قال : ومائتا آية وأربع آيات ، وقيل : وأربع عشرة آية ، وقيل : ومائتان وتسع عشرة ، وقيل : ومائتان وخمس وعشرون آية، وست وعشرون آية ، وقيل : ومائتا آية ، وست وثلاثون آية . حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتاب البيان .

وأما كلماته ، فقال الفضل بن شاذان ، عن عطاء بن يسار : سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة .

وأما حروفه ، فقال عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : هذا ما أحصينا من القرآن وهو ثلاثمائة ألف حرف وواحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفا .

وقال الفضل ، عن عطاء بن يسار : ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفا .

وقال سلام أبو محمد الحماني : إن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال: أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو ؟ قال : فحسبناه ، فأجمعوا أنه ثلاثمائة ألف حرف وأربعون ألفا وسبعمائة وأربعون حرفا .

[37] من مقدمة ابن كثير ومن تبويبه. (صفحات 26، 27، 28)

قال : فأخبروني عن نصفه . فإذا هو إلى الفاء من قوله في الكهف : (وليتلطف[38])، وثلثه الأول عند رأس مائة آية من "براءة"، والثاني على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء ، والثالث إلى آخره . وسبعه الأول إلى الدال من قوله : (فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه[39]). والسبع الثاني إلى الباء من قوله في الأعراف : (حبطت[40])، والثالث إلى الألف الثانية من : (أكلها[41]) في الرعد، والرابع إلى الألف من قوله في الحج : (جعلنا منسكا[42])، والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة[43])، والسادس إلى الواو من قوله في الفتح : (الظانين بالله ظن السوء[44])، والسابع إلى آخر القرآن . قال سلام أبو محمد : عملنا ذلك في أربعة أشهر .

قالوا : وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن ، فالأول إلى آخر الأنعام ، والثاني إلى (وليتلطف[45])، والثالث إلى آخر الزمر ، والرابع إلى آخر القرآن . وقد ذكر الشيخ أبو عمرو الداني في كتابه " البيان " خلافا في هذا كله ، والله أعلم .

وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات في المدارس وغيرها ، وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الوارد في تحزيب الصحابة للقرآن ، والحديث في مسند أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه وغيرهما عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته : كيف يحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة ، وحزب المفصل من قاف حتى يختم .

قال القرطبي : أجمعوا أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية ؟ وأجمعوا أن فيه أعلاما من الأعجمية كإبراهيم ونوح ، ولوط ، واختلفوا : هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية ؟ فأنكر ذلك الباقلاني والطبري وقالا : ما وقع فيه ما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات.

---

38 الكهف : 19
39 النساء : 55
40 الأعراف : 147
41 الرعد : 35
42 الحج : 67
43 الأحزاب : 36
44 الفتح : 6
45 الكهف : 19

أنواع التفسير

تعريف التفسير وموضوعه:

ولقد عرّف الإمام الزركشي في كتابه البرهان علم التفسير بقوله: علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالتُه على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية.

والتفسير في اللغة إنما هو الإيضاح والتبيين، وقد جاءت كلمة التفسير في هذا المعنى في الآية الكريمة:{ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً}(الفرقان/33) أي بياناً وتفصيلاً.

أنواع التفسير:

ولقد تنوعت وتعددت كثيراً كتب التفسير حتى إنها لتكاد لا تقع تحت حصر، وذلك دليل على اهتمام وانشغال الأمة الإسلامية بكتاب ربها وبذلها لجهود كثيرة وحثيثة لشرحه من جوانب عديدة.

ولقد حصر بعض العلماء كتب التفسير المعروفة في مجموعات بحسب تقسيمات علمية على النحو التالي:

1) **التفسير بالمأثور**: أي تفسير القرآن الكريم بالقرآن نفسه أو بالسنة النبوية أو بما نقل عن الصحابة الكرام، ثم بما نقل عن التابعين.

ومن هذا القبيل تفسير الطبري، وتفسير بحر العلوم للسمرقندي، ومعالم التنزيل للبغوي، والدر المنثور للسيوطي، وتفسير ابن كثير.

2) **التفسير بالرأي**: وهو تفسير القرآن باجتهاد المفسر معتمداً على أسباب النزول ودلالة كلمات الآيات والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من أدوات التفسير.

ولا شك أن التفسير بالرأي إن لم يتقيد بشروط المفسر وضوابط التفسير كان مزلقاً خطراً وباباً مفتوحاً للتعصب، بل للخروج بكلام الله عن مراده.

ولكن من الكتب المشهورة بالتفسير بالرأي، والمعروفة باستقامة أهلها وبتقيدهم العلمي وعدم خروجهم عن مستحسن الأقوال وسديد النهج تفسير مفاتيح الغيب للرازي، وأنوار التنزيل للبيضاوي، وروح المعاني للألوسي، ولباب التأويل للخازن.

3) وهناك كتب اعتنت بتفسير ألفاظ القرآن الكريم وبيان معنى مفرداته، ككتاب مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، وغريب القرآن للسجستاني.

4) وهناك كتب توجهت باهتمامها نحو الآيات المتعلقة بالأحكام الشرعية، مثل تفسير أحكام القرآن للشافعي، وأحكام القرآن لابن العربي، وأحكام القرآن للقرطبي.

5) وهناك تفاسير اعتنت بالاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، وهو ما يسمى بالتفسير العلمي الذي يربط بين القرآن وعلم الكون ، مثل تفسير طنطاوي جوهري المعاصر، ومثل ما كتبه في ذلك الغزالي أو السيوطي أو أبو الفضل المرسي في كتب شتى.

6) وهناك التفاسير التي انصب اهتمامها على ما يتعلق بالعلوم العربية من نحو وبيان وبديع، أو ما في القرآن من إعجاز لغوي.

الوحدة الثالثة

تراجم المفسرين

أبو جعفر الطبري

(224-310هـ ، 839 - 923م).

يعتبر الطبري من أبرز المفسرين والمؤرخين في التاريخ الإسلامي، حيث اشتهر بكتابيه "تفسير الطبري"، و"تاريخ الطبري"، واسمه محمد بن جرير. وعرف بـ "أبو جعفر الطبري"، وقد ولد في 224 هـ الموافق 839م، وتوفي في 310 هـ الموافق 923م.

فقد كان الطبري قد تميز بالورع والزهد، حيث اقتصر في معيشته على ريع بستانه الخاص الذي ورثه عن أبيه، ورفض أية عطايا من الآخرين والملوك، حيث مال طوال حياته للزهد في الدنيا.

وقد وصفه ابن كثير قائلا: "كان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق لا تأخذه في ذلك لومة لائم، وكان من كبار الصالحين".

كما أن الطبري عرف بعفة اللسان وعدم ميله لإيذاء الناس، كما لم يعرف التكبر أمام أصحابه وزملائه وطلابه، أو أنه كان يحمل الغل في قلبه.

مؤلفات الإمام الطبري

بالإضافة لكتابيه المشهورين في التفسير والتاريخ فقد ألف أيضا العديد من المصنفات والكتب منها على سبيل المثال: "التبصير في معالم الدين"، "كتاب آداب النفس الجيدة والأخلاق النفيسة"، والآداب في القضاة والنفوس والمناسك والآثار، حيث خصص كتاباً لكل أدب منها.

فيما قال ابن الأثير: "أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه وكان أسمر، أعين، نحيف الجسم، فصيحاً".

تفسير الطبري

حيث يعد الطبري أول من نظم مختلف مراحل التفسير في ضوء ما توفر له من مادة تفسيرية غزيرة في عصره، وقد أسس بهذا مهجا سار عليه من بعده.

ويجمع تفسيره بين المعنى والتأويل واللغة وأشهر الأقوال حول مدلول الآيات والإعراب، بحيث أنه مزيج بين التاريخ والنقل والاقتباس واللغة والأسانيد والترجيح، لكنه يكشف عن موهبة نادرة وصبر كبير على هذا العمل الذي استغرق منذ سنوات كثيرة يقال إنها وصلت أربعين سنة.

وقد أوضح الطبري أن مقصوده من تفسير القرآن الكريم هو تبيين الوجوه المحتملة للآيات، واستقصاء هذه الوجوه فقال: "إذ كان الذي قصدنا له في كتابنا هذا البيان عن وجوه تأويل آي القرآن دون وجوه قراءتها".

منهج الإمام الطبري في التفسير:

"وهو تفسير ذو منهج خاص، يذكر الآية أو الآيات من القرآن، ثم يعقبها بذكر أشهر الأقوال التي أُثرت عن الصحابة والتابعين من سلف الأمة في تفسيرها، ثم يورد بعد ذلك روايات أخرى متفاوتة الدرجة في الثقة والقوة في الآية كلها أو في بعض أجزائها بناءً على خلافٍ في القراءة أو اختلاف في التأويل، ثم يعقِّب على كل ذلك بالترجيح بين الروايات واختيار أولاها بالتقدمة، وأحقها بالإيثار، ثم ينتقل إلى آية أخرى فينهج نفس النهج: عارضًا ثم ناقدًا ثم مرجِّحًا".

"وهو إذ ينقد أو يرجِّح يردُّ النقد أو الترجيح إلى مقاييس تاريخية من حال رجال السند في القوة والضعف، أو إلى مقاييس علمية وفنية: من الاحتكام إلى اللغة التي نزل بها الكتاب، نصوصها وأقوال شعرائها، ومن نقد القراءة وتوثيقها أو تضعيفها، ومن رجوع إلى ما تقرر بين العلماء من أصول العقائد، أو أصول الأحكام

أو غيرهما من ضروب المعارف التي أحاط بها ابن جرير، وجمع فيها مادة لم تجتمع لكثير من غيره من كبار علماء عصره"[46].

تاريخ الطبري

استطاع الإمام الطبري أن يوظف جملة من علومه في الفقه واللغة والدين والعقائد، في أن يخرج بتفسيره الذي صار مرجعاً إلى اليوم، كذلك تأليفا لكتابه تاريخ الطبري.

ويعتبر تاريخ الأمم والملوك أو "تاريخ الرسل والملوك" المعروف بـ "تاريخ الطبري"، من الكتب المرجعية في مجاله، وسابق في فكرته، ويؤرخ للعالم من بدء الخلق إلى نهاية سنة 302 هجرية، من قصة آدم إلى الزمن الذي عاصره الطبري.

وفاة الإمام الطبري: عاش الطبري راهبًا في محراب العلم والعمل حتى جاءته الوفاة ولا رادَّ لأمر الله. قال الخطيب: "واجتمع عليه (حال الجنازة) من لا يحصيهم عددًا إلا الله، وصُلِّي على قبره عدة شهور ليلاً ونهارًا، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب"[47]. وكان ذلك في يوم 26 من شهر شوال سنة 310هـ/ 923م على الأرجح، في عصر الخليفة العباسي المقتدر بالله، ودُفِن في داره الكائنة برحبة يعقوب ببغداد[48].

[46] محمد محمود الحلبي - في كلمة الناشر للطبعة الثالثة لتفسير الطبري 1/ 4
[47] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 2/ 554.
[48] ياقوت الحموي: معجم الأدباء 18/ 40.

الزَّمخشري (محمود بن عمر)

(467 - 538هـ/1074 - 1143م)

أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري صاحب "الكشاف" و"المفصل . " ولقبه جار الله. ولد في زمخشر من إقليم خوارزم. رحل الزمخشري إلى بخارى ثم إلى بغداد قاصداً الحج. فسعى هبة الله أبو السعادات إلى لقائه مهنئاً له بقدومه وكانت شهرته قد سبقته، فقرظه بمقطعة شعرية ومحضه إعجابه بعد أن تبين له أن الخُبْر فاق الخبر.جاور مكة زمناً فسماه معاصروه جار الله.

والزمخشري معتزلي الاعتقاد رحيب التفكير، وكان يجهر برأيه ويقول بخلق القرآن، وقد ظهر مذهبه الفكري الديني في بعض كتبه. أهم مؤلفاته «الكشاف عن حقائق التنزيل»، وهو تفسير لآيات القرآن الكريم، وله منزلة خاصة بين سائر كتب التفسير في الإسلام بسبب منحاه العقلي في الاعتزال. وقد ذاع صيت هذا الكتاب في أوساط علماء المسلمين وأئمة اللغة ولدى المهتمين بتفسير القرآن، فعنوا بشرحه والتعليق عليه، وبتلخيصه وتحشيته، وقد مدحه كثيرون، وانتقده عديدون. ومما يدل على اعتداده بكتابه «الكشاف» وبمنزلته عنده ما نظمه شعراً يقرظه فيه بقوله:

إنّ التفاسير في الدنيا بلا عددٍ ** وليس فيها لعمري مثلُ (كشافي)

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ** فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وقال الشيخ العلامة تاج الدين السبكي رحمه الله : " واعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه، ومصنفه إمام في فنه، إلا أنه رجل مبتدع متجاهر ببدعته ، يضع من قدر النبوة كثيرا، ويسيء أدبه على أهل السنة والجماعة، والواجب كشط ما فيه من ذلك كله .

ولقد كان الشيخ الإمام (يعني: والده الإمام تقي الدين السبكي) يقرئه، فلما انتهى إلى الكلام على قوله تعالى في سورة التكوير : (إنه لقول رسول كريم) الآية أعرض عنه صفحا، وكتب ورقة حسنة سماها : سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف ، وقال فيها : قد رأيت كلامه على قوله تعالى : (عفا الله عنك) ، وكلامه في

سورة التحريم في الزلة ، وغير ذلك من الأماكن التي أساء أدبه فيها على خير خلق الله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعرضت عن إقراء كتابه حياء من النبي صلى الله عليه وسلم ، مع ما في كتابه من الفوائد والنكت البديعة .

طريقته في التفسير وخصائص تفسيره

يعدّ (الكشاف) من كتب التفسير بالرأي- مع انحراف إلى الاعتزال- ويعتمد في تفسيره على لغة العرب وأساليبهم، ويعنى عناية خاصة بعلوم البلاغة، تحقيقا لوجوه إعجاز القرآن الكريم، ويؤوّل آيات التوحيد بما يوافق طريقة الاعتزال التي انزلق إليها.

أ- خلوّه من الحشو والتطويل، وسلامته من القصص والإسرائيليات الباطلة.

ب- اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم في البيان.

ج- سلوكه فيما يقصد إيضاحه طريق السؤال والجواب.

وفاته: وحين أتمّ إحدى وسبعين سنة من عمره، وبعد عودته من مكة المكرمة، توفي بجرجانية خوارزم سنة (538 هـ)،

الإمام الفخر الرازي

(544 - 606 هـ)

ترك لنا التاريخ الإسلامي أسماء لعلماء أجلاء، ومفكرين فضلاء، قلما يخلو كتاب أو مرجع في العلوم الإسلامية من ذكرهم، والإشادة بمكانتهم العلمية، وتمرسهم ورسوخهم في كثير من مجالات العلم والمعرفة، ومن هؤلاء؛ المتكلم الأصولي والمفسر والمؤرخ وعالم اللغة والطبيب والفيلسوف الإمام فخر الدين الرازي(ت 606 هـ) الذي بلغت شهرتـه الآفاق.

اسمه ونسبه: هو: محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري، يلقب بألقاب كثيرة منها: فخر الدين والإمام، إلا أن من أشهر ألقابه الرازي[49].

مولـده ونشـأته: ولد الإمام في مدينة الري في شهر رمضان المبارك سنة 544هـ ، وفي أسرة اشتهرت بالعلم والفضل، ونشأ في هذا البيت المفعم بالعلم والمعرفة؛ فقد كان أبوه أحد علماء الشافعية في مدينة الري، فنهل من علمه، واغترف من فقهه إلى أن مات، وكان الرازي ينسب الفضل إليه في كثير من العلوم ويذكره بإجلال[50].

---

[49] مصادر ترجمة الرازي: وفيات الأعيان، لابن خلكان 4/249-248، تاريخ الإسلام للذهبي، 13/137، البداية والنهاية لابن كثير،13 65/، شذارات الذهب لابن عماد الحنبلي، 40/ 7، الإمام الفخر الرازي حياته وآثاره للعماري،11-16.

[50] وفيات الأعيان لابن خلكان، 4/250، شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي، 40/7.

وقد حباه الله بالإضافة إلى بيئته العلمية همة طلب العلم؛ فكان شديد الحرص على تلقي العلوم الشرعية والحكمية ، كثير البراعة، قوي النّظر في صناعة الطّبّ، عارفا بالأدب[51].

كان أبوه الإمام ضياء الدين أول شيوخه وأجلهم، تّأثر به ولازمه طول حياته، وهو أحد أئمة الإسلام مقدما فِي علم الكلام[52].

وتتلمذ على يديه الكثير؛ فقد كان إذا ركب مشى معه نحو الثلاثمائة مشتغل على اختلاف مطالبهم في التفسير، والفقه، والكلام، والأصول والطب وغير ذلك.

مـؤلفـاتـــه : جالت أقلام فخر الدين في فنون عديدة، فقد رزق الحظوة في تصانيفه، وانتشرت في الآفاق، منها :

• التفسير الكبير • الأربعين في أصول الدين • أساس التقديس

• شرح عيون الحكمة لابن سينا • اعتقادات فرق المسلمين والمشركين

• كتاب نهاية العقول في دراية الأصول • كتاب القضاء والقدر

• عصمة الأنبياء • المطالب العالية في الكلام • الملخص في المنطق والحكمة

وكان الإمام الرازي أشعري العقيدة، وقد أفصح عن توجهه العقدي في مؤلفاته، يقول: "وقد علم العالمون أنه ليس مذهبي، ولا مذهب أسلافي إلا مذهب أهل السنة والجماعة".

التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب:

[51] تاريخ الإسلام للذهبي، 137/13.

[52] وفيات الأعيان 250/4، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي،86/8.

هو كتاب في تفسيرالقرآن الكريم، وهو من أشمل كتب التفسير التي تركز على اعمال العقل والمقدمات والمنطق، حتى قيل فيه : "تفسير الرازي فيه كل شيء إلا التفسير"

يقول ابن قاضي شهبة :" إنه، أي الفخر الرازي، لم يتمه".

وتضاربت أقوال العلماء في معرفة الذي أكمل هذا التفسير ، وإلى أي موضع من القرآن وصل الفخر الرازي في تفسيره.

أن ابن حجر العسقلاني يذكر أن الذي أتمه نجم الدين القمولي، وصاحب كشف الظنون يجعل لشهاب الدين الخويي مشاركة على وجه ما في هذه التكلمة، وإن كانا يتفقان على أن الرازي لم يتم تفسيره.

أهمية التفسير الكبير " مفاتيح الغيب":

إن تفسير الفخر الرازي ليحظى بشهرة واسعة بين العلماء، وذلك لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير، بالأبحاث الفياضة الواسعةفي نواح شتى من العلم، ولهذا يصفه ابن خلكان فيقول:" إنه ـ أي الفخر الرازي ـ جمع فيه كل غريب وغريبة".

يهتم ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره، وهو لا يكتفي بذكر مناسبة واحدة بل كثيرا ما يذكر أكثر من مناسبة. ويهتم بالعلوم الرياضية والفلسفية ويكثر الاستطراد فيها.

يهتم كثيرا بالأحكام الفقهية وذكر أقوال الفقهاء ومذاهبمهم مع ترويجه لمذهب الشافعي، ويستطرد كثيرا في المسائل الأصولية , كما أنه يهتم بالمسائل النحوية. وبالجملة فهو أشبه بموسوعة في علم الكلام والكون والطبيعة .

موقفه من المعتزلة:

كان الفخر الرازي لا يدع فرصة تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة بذكر أقوالهم والرد عليها ردا لايراه البعض كافيا ولا شافيا.

يقول ابن حجر في لسان الميزان :" وكان يعاب بإيراد الشبة الشديدة، ويقصّر في حلها، حتى قال بعض المغاربة: يورد الشبه نقدا ويحلها نسيئا."

وفاته:

توفي الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ بهرة يوم الاثنين يوم عيد الفطر ستة 606هـ[53].

[53] طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي، 93/8

الإمام القرطبي

(600 - 671هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسِّر. ولد في قرطبة أوائل القرن السابع الهجري (ما بين 600 - 610هـ) ، وعاش بها، ثم انتقل إلى مصر حيث استقر بِمُنْيَة بني خصيب في شمال أسيوط، ويقال لها اليوم: المنيا، وبقي فيها حتى تُوفِّي[54]

نشأة الإمام القرطبي وتربيته:

أقبل القرطبي منذ صغره على العلوم الدينية والعربية إقبال المحبِّ لها، الشغوف بها؛ ففي قرطبة تعلم العربية والشعر إلى جانب تعلمه القرآن الكريم، وتلقى بها ثقافة واسعة في الفقه والنحو والقراءات وغيرها على جماعة من العلماء المشهورين، وكان يعيش آنذاك في كنف أبيه ورعايته، وبقي كذلك حتى وفاة والده سنة 627هـ[55].

عاش مأساة الأندلس، فقد بقي بقرطبة حتى سقوطها، وخرج منها نحو عام 633هـ، فرحل إلى المشرق طلبًا للعلم من مصادره، فانتقل إلى مصر التي كانت محطًّا لكثير من علماء المسلمين على اختلاف أقطارهم، فدرس على أيدي علمائها، واستقرَّ بها[56].

مؤلفات الإمام القرطبي: ذكر المؤرخون للقرطبي -رحمه الله- عدَّة مؤلفات غير تفسيره العظيم (الجامع لأحكام القرآن)؛ ومن هذه المؤلفات:

التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، التذكار في أفضل الأذكار،

[54] مشهور حسن محمود سلمان: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير ص45

[55] السابق نفسه ص15

[56] السابق نفسه ص17- 19.

الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.

الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام.

قمع الحرص بالزهد والقناعة وردّ ذُل السؤال بالكسب والصناعة.

وقد أشار القرطبي في تفسيره إلى مؤلفات له، منها: المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس، واللمع اللؤلؤية في شرح العشرينات النبوية، وغيرها من التصانيف.

منهج الإمام القرطبي في التفسير:

قدَّم المؤلف لتفسيره مقدمة حافلة ببيان فضائل القرآن وآداب حملته، وما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به. ثم أوضح مقصده وباعثه على كتابة هذا التفسير بقوله: "وعملته تذكرةً لنفسي، وذخيرةً ليوم رَمْسِي، وعملاً صالحًا بعد موتي".

وقد التزم القرطبي في هذا التفسير الأمانة العلمية، والموضوعية في الإفادة من أسلافه؛ فقال: "وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله". وكان لا يقف في تفسير القرآن عند حدِّ ما رُوي من ذلك عن الرسول والسلف الصالح، بل يتخذ ما أُوتيه من أدوات العلم وسيلةً يستعين بها على فهمه.

وكان يقصد إلى تفسير القرآن الكريم ببيان التعبير القرآني وأسراره ومنزلته من الكلام العربي، ومن هنا عُنِي باللغات والإعراب والقراءات؛ كان يورد الآية أو الآيات ويفسرها بمسائل يجمعها في أبواب، وكان القرطبي في هذه المباحث أو المسائل ينتقل من تفسير المفردات اللغوية وإيراد الشواهد الشعرية، إلى بحث اشتقاق الكلمات ومآخذها، إلى تصريفها وإعلالها، إلى تصحيحها وإعرابها، إلى ما قاله أئمة السلف فيها، إلى ما يختاره المؤلف أحيانًا من معانيها.

وكان القرطبي يبين أسباب النزول، ويذكر القراءات واللغات ووجوه الإعراب، وتخريج الأحاديث، وبيان غريب الألفاظ، وتحديد أقوال الفقهاء، وجمع أقاويل السلف، ومن تبعهم من الخلف؛ ثم أكثر من الاستشهاد

بأشعار العرب، ونقل عمن سبقه في التفسير، مع تعقيبه على ما ينقل عنه، مثل ابن جرير، وابن عطية، وابن العربي، وإلْكِيَا الهرَّاسي، وأبي بكر الجصَّاص.

وأضرب عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين والإسرائيليات، وذكر جانبًا منها أحيانًا؛ كما ردَّ على الفلاسفة والمعتزلة وغلاة المتصوفة وبقية الفرق، ويذكر مذاهب الأئمة ويناقشها، ويمشي مع الدليل، ولا يتعصب لمذهبه المالكي، وقد دفعه الإنصاف إلى الدفاع عن المذاهب والأقوال التي نال منها ابن العربي المالكي في تفسيره، فكان القرطبي حرًّا في بحثه، نزيهًا في نقده، عفيفًا في مناقشة خصومه، وفي جدله، مع إلمامه الكافي بالتفسير من جميع نواحيه، وعلوم الشريعة.

وفاته - رحمه الله:

حياة العظماء حقًّا تنتهي بتخليد ذكرهم وتركهم لآثار تدل عليهم، فبعد أن قضى الإمام القرطبي عمره بين تعلم وعبادة وتصنيف، جاءته سكرة الموت وهو بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى بمصر، وذلك يوم الاثنين من شهر شوال من سنة إحدى وسبعين وستمائة (671هـ)، ودفن هناك - رحمة الله عليه، وجزاه الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء بما نفع وقدم.

الحافظ ابن كثير

(707 - 774هـ)

اسمه ونسبه ومولده .

هو الحافظ المؤرخ المفسر عماد الدين أبو الفداء : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي البصروي ، ثم الدمشقي . ولد بمجدل من أعمال دمشق سنة (701هـ) ، ثم انتقل إلى دمشق مع أخيه كمال الدين سنة (707هـ) بعد موت أبيه .

مكانته العلمية .

حفظ القرآن الكريم وختم حفظه في سنة (711هـ) ، وقرأ القراءات وبرع في التفسير ، وحفظ متن " التنبيه " في الفقه الشافعي سنة (718هـ) ، وحفظ مختصر ابن الحاجب ، وتفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري ، وكمال الدين ابن قاضي شهبة . ولي العديد من المدارس العلمية في ذلك العصر ، منها : دار الحديث الأشرفية ، والمدرسة الصالحية ، والمدرسة النجيبية ، والمدرسة التنكزية ، والمدرسة النورية الكبرى .

ثناء العلماء عليه وذكر بعض مصنفاته .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في ترجمته : "إسماعيل بن عمر بن كثير : الإمام ، الفقيه ، المحدث الأوحد ، البارع ، عماد الدين البصروي الشافعي ، فقيه متقن ، ومحدث متقن ، ومفسر نقال ، وله تصانيف مفيدة ، يدري الفقه ، ويفهم العربية والأصول ، ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم ، سمع مني ، وله حفظ ومعرفة "[57].

[57] معجم المحدثين" (56/1)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : "إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصروي ، الشيخ عماد الدين . ولد سنة سبعمائة أو بعدها بيسير ، ومات أبوه سنة (703) ، ونشأ هو بدمشق ، وسمع من ابن الشحنة ، وابن الزراد ، وإسحاق الآمدي ، وابن عساكر ، والمزي، وابن الرضى ، وطائفة . وأجاز له من مصر الدبوسي ، والواني ، والختني ، وغيرهم. واشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله ، فجمع التفسير ، وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل ، وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية ، وعمل طبقات الشافعية ، وخرج أحاديث أدلة التنبيه ، وأحاديث مختصر ابن الحاجب الأصلي ، وشرع في شرح البخاري ولازم المزي ، وقرأ عليه تهذيب الكمال ، وصاهره على ابنته ، وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه ، وامتحن لسببه ، وكان كثير الاستحضار ، حسن المفاكهة ، سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها الناس بعد وفاته ، ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالي وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك من فنونهم ، وإنما هو من محدثي الفقهاء ، وقد اختصر مع ذلك كتاب ابن الصلاح ، وله فيه فوائد "[58].

تفقه الإمام ابن كثير على فقهاء الشافعية في زمانه ، فحفظ كتبهم ، ودرس علومهم ، بل وكتب الكتب المختصة بهم ، فقد كان مذهب الشافعية هو المذهب المنتشر في بلاد الشام ومصر .

مؤلفاته:

ساهم رحمه الله تعالى في خدمة الدين بكتابة كثير من المؤلفات المفيدة التي انتفع بها الناس من هذه الكتب ما يلي:

1 -تفسير القرآن العظيم. 2 طبقات الفقهاء. 3 ومناقب الشافعي.

4 البداية والنهاية. 5 اختصار علوم الحديث.

6 التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل. 7 خرج أحاديث مختصر ابن الحاجب.

8 وَشرع فِي كتاب كَبِير فِي الْأَحْكَام لم يتمه.

[58] الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" (1/446-445)

9 ورتب مُسْند أَحْمد على الْحُرُوف وَضم إِلَيْهِ زَوَائِد الطَّبَرَانِيّ وَأبي يعلى وغيرها.

منهجه في التفسير:

إن الناظر في تفسير هذا الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله يعلم رسوخه في العلم، فامتاز هذا التفسير بميزات متعددة توضح منهج الحافظ في كتابه فمنها:

1 امتاز هذا التفسير بسهولة العبارة وجزالتها، بأسلوب مختصر.

2 يذكر الروايات بأسانيدها في الغالب، ويحكم على الروايات في الغالب، فإن كانت ضعيفة بين علتها، ويسكت عن بعض الروايات فلم يذكر لها حكماً.

3 يفسر القرآن بالقرآن، حتى يتبين المراد، وأحياناً يذكر الآيات المتشابهة، ويذكر القراءات، وأسباب النزول.

4 ثم إنه في آيات الصفات سلك مسلك الحق والصواب بخلاف كثير من المفسرين.

5 فإن لم يجد ما يفسره بالقرآن فسره بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وينقل أقوال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ويذكر أقوال التابعين ومن تبعهم، بل إنه ينقل حتى عن الإمام الطبري رحمه الله.

وهذه الأمور لا تخفى على طالب علم قرأ في هذا الكتاب العظيم.

وفاته .

توفي في شعبان سنة (774هـ) ، وكان قد أضر في أواخر عمره . ودفن عند شيخه ابن تيمية في مقبرة الصوفية خارج باب النصر من دمشق.

جلال الدين السيوطي

(849 - 911هـ)

ولد الإمام الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد الخضيري الأسيوطي بمدينة القاهرة في شهر رجب سنة (849هـ)، ونسب إلى أسيوط -مدينة بصعيد مصر- لكونها بلد أبيه التي رحل منها إلى القاهرة لدراسة العلم.

نشأ جلال الدين السيوطي يتيماً، فقد تُوفِّي والده قبل أن يكمل ست سنوات من عمره، وكان سليل أسرة اشتهرت بالعلم والتدين، حيث كان أبوه من العلماء الصالحين ذوي المكانة العلمية الرفيعة، فاتجه إلى حفظ القرآن الكريم، فأتم حفظه وهو دون الثامنة، ثم حفظ بعض الكتب في تلك السن المبكرة كالعمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك؛ فاتسعت مداركه، وزادت معارفه.

وكان جلال الدين السيوطي محل العناية والرعاية من عدد من العلماء من رفاق أبيه، وتولى بعضهم أمر الوصاية عليه، ومنهم :الكمال ابن الهمام الحنفي، أحد كبار فقهاء عصره، فتأثر به تأثرًا كبيرًا، خاصةً في ابتعاده عن السلاطين وأرباب الدولة.

ارتحل جلال الدين السيوطي في طلب العلم إلى بلاد الحجاز والشام واليمن والهند والمغرب الإسلامي، ثم تجرد للعبادة والتأليف عندما بلغ سن الأربعين.

عاش جلال الدين السيوطي في عصر كثر فيه العلماء الأعلام الذين نبغوا في علوم الدين على تعدد ميادينها، وتوفروا على علوم اللغة بمختلف فروعها، وأسهموا في ميدان الإبداع الأدبي، فتأثر بهذه النخبة الممتازة من كبار العلماء، وألَّف أول كتبه وهو في سن السابعة عشرة.

كان منهج السيوطي في الجلوس إلى المشايخ هو أن يختار شيخًا واحدًا يجلس إليه، فإذا ما توفِّي انتقل إلى غيره، وكان من أبرز شيوخه :محيي الدين الكافيجي وشرف الدين المُنَاويّوتقي الدين

الشبلي والمرزباني وجلال الدين المحلي وتقي الدين الشمني وعلم الدين البلقيني. وأما تلاميذه فمن أبرزهم :شمس الدين الداودي، وشمس الدين بن طولون والمؤرخ الكبير ابن إياس.

وكان إماماً حافظاً مؤرّخاً واسع العلم غزير المعرفة، اشتهر في الحديث والتفسير وعلوم القرآن؛ وقد قال عن نفسه: "قد رُزقتُ -ولله الحمد- التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع"، إضافةً إلى أصول الفقه والجدل والتصريف، والإنشاء والترسُّل والفرائض والقراءات والطب، غير أنه لم يقترب من علمي الحساب والمنطق.

مؤلفات جلال الدين السيوطي:

زادت مؤلفات الإمام السيوطي على الثلاثمائة كتاب ورسالة، عدَّ له بروكلمان (415) مؤلَّفًا، وأحصى له حاجي خليفة في كتابه (كشف الظنون) حوالي (576) مؤلفًا، ووصل بها البعض كابن إياس إلى (600) مؤلف. وقد ألف في طيف واسع من المواضيع تشمل التفسير والفقه والحديث والأصول والنحو والبلاغة والتاريخ والتصوف والأدب وغيرها. ومن هذه المصنفات:

الإتقان في علوم القرآن.	متشابه القرآن.
الإكليل في استنباط التنزيل.	مفاتح الغيب في التفسير.
إسعاف المبطأ في رجال الموطأ.	تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك.
جمع الجوامع.	الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة.
الأشباه والنظائر في فقه الإمام الشافعي.	الحاوي في الفتاوي.
الجامع في الفرائض.	تشنيف الأسماع بمسائل الإجماع.
المزهر في اللغة.	الأشباه والنظائر في اللغة.

منهج الإمام السيوطي في التفسير:

وأهم ما يميز تفسير السيوطي:

يذكر مكان نزول السورة، وهل هي مكية أم مدنية.

يذكر ما ورد في هذه السورة من فضائل.

يقسم السورة إلى مقاطع، فيذكر الآية أو الآيتين في السور المدنية الطوال، أو مجموعة من الآيات في السور المكية القصار

ثم يفسِّر الكلمة أو الجملة مبيّنًا فيها:

أ- سبب النزول إن وجد. ب- القراءات: إن ورد فيها قراءات.

ج- الناسخ والمنسوخ د- شرح غريب اللفظ، ومبهم العبارات.

هـ- إذا كانت الآية تتضمن أحكامًا فقهية، فإنه يذكر ما ورد فيها من أحكام.

وفاة الإمام جلال الدين السيوطي:

تمرَّض السيوطي رحمه الله بورم شديد في ذراعه اليسرى، فمكث سبعة أيام، وتُوُفِّي رحمه الله في سحر ليلة الجمعة (19 من جمادى الأولى عام 911هـ/ 17 من أكتوبر عام 1505م) في منزله بروضة المقياس. وصلى عليه خلائق بجامع الأباريقي بالروضة عقب صلاة الجمعة، وصلى عليه مرة ثانية خلائق لا

يحصون. ودُفِن بحوش قوصون خارج باب القرافة، كما صُلِّي عليه غائبةً بدمشق في الجامع الأموي، يوم الجمعة ثامن رجب من السنة المذكورة[59].

[59] نجم الدين الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة 1/ 231. إياد خالد الطباع: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي ص436، 437.

محمد رشيد رضا

(1282 – 1354- هـ = 1865 - 1935)

ويعتبر محمد رشيد رضا مفكراً إسلامياً من رواد الإصلاح الإسلامي الذين ظهروا مطلع القرن الرابع عشر الهجري. وبالإضافة إلى ذلك، كان صحفيا وكاتبا وأديبا لغويا. هو أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده. أسس مجلة المنار على نمط مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها الإمام محمد عبده، ويعتبر حسن البنا أكثر من تأثر بالشيخ رشيد رضا.

ولد 27 جمادى الأولى 1282 هـ/23 سبتمبر 1865 في قرية "القلمون (لبنان)"، وهي قرية تقع على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان وتبعد عن طرابلس الشام بنحو ثلاثة أميال، وتوفي بمصر في 23 جمادى الأولى 1354 هـ/22 أغسطس 1935م.

وكان أبوه «علي رضا» إمام مسجد القرية؛ فحرص على نشأته نشأةً دينية؛ فحفظ القرآن الكريم وتعلَّم مبادئ القراءة والكتابة والحساب. وتلقَّى تعليمه الابتدائي في «المدرسة الرشيدية» ثم التحق بـ «المدرسة الإسلامية» بطرابلس. تتلمذ «محمد رشيد رضا» على يد مجموعة من مشايخ عصره في لبنان مثل «حسن الجسر» و«محمود نشابة» و«محمد القاوجي» وآخرين، كما سعى للاتصال بـ «جمال الدين الأفغاني» غير أنه لم يُفلح.

ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة 1315 هـ ، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت. ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي. وأصبح مرجع الفتيا، في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة.

ولما أعلن الدستور العثماني (سنة 1326 هـ) زار بلاد الشام، واعترضه في دمشق، وهو يخطب على منبر الجامع الأموي، أحد أعداء الإصلاح، فكانت فتنة، عاد على أثرها إلى مصر.

وأنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد) ثم قصد سورية في أيام الملك فيصل بن الحسين، وانتخب رئيسا للمؤتمر السوري، فيها. وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها (سنة 1920 م) فأقام في وطنه الثاني (مصر) مدة. ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوربا. وعاد، فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة في (سيارة) كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة. ودفن بالقاهرة.

أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها 34 مجلدا، و (تفسير القرآن الكريم - ط) اثنا عشر مجلدا منه، ولم يكمله، و (تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده - ط) ثلاثة مجلدات، و (نداء للجنس اللطيف - ط) و (الوحي المحمدي - ط) و (يسر الإسلام وأصول التشريع العام - ط) و (الخلافة - ط) و (الوهابيون والحجاز - ط) و (محاورات المصلح والمقلد - ط) و (ذكرى المولد النبوي - ط) و (شبهات النصارى وحجج الإسلام - ط).

تفسير المنار

تفسير المنار أحد كتب تفسير القران الكريم المعاصرة، وفى هذا التفسير عمد الشيخ محمد رشيد رضا إلى جمع ما تناثر ووقع في يده من دروس أستاذه محمد عبده في التفسير، فجمعها في التفسير المسمى بتفسير المنار، وهو تفسير شامل جامع لصحيح المأثور وصريح المعقول، وازن مبين ما عليه المسلمون اليوم وبين متطلبات التشريع العظيمة التي جاء بها الكتاب المبين، وقد راعى المؤلف في تفسيره سهولة العبارة وطلاوتها ولم يثقل بذكر المصطلحات والعبارات التي لا يدرك معناها إلا المشتغلون والمتفقهون بالتفسير، وقد جعله في إثني عشر كتابًا بتفسير فاتحة القرآن الكريم مبينًا وجوه الإعجاز في آيات القران من حيث الأسلوب والبلاغة وبما فيه من علم الغيب، وسلامته من الإختلاف، موضحًا وجه دلالة القرآن على نبوة النبي محمد[60].

وان بعض العلماء مثل يوسف النبهانى المصري والعلامة اليماني مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى يخالفونه.

[60] تفسير المنار قود ريدر اطلع عليه في 22 أغسطس 2015 نسخة محفوظة 27 نوفمبر 2017 على موقعWayback Machine

وسُئل الشيخ الألباني: ما رأيكم في تفسير المنار للسيد رشيد رضا؟

فاجاب: (تفسير المنار) تفسير جيد -إجمالاً- وهو يعالج مشاكل المسلمين اليوم، وفيه بحوث اجتماعية وسياسية وتاريخية لا توجد في كتب التفسير المعروفة سابقا، بل لا توجد في كتب المعاصرين؛ لأن السيد رشيد رضا عالم كبير وسياسي مسلم، لكن في الوقت نفسه له انحرافات عن السنة في كثير من المواطن؛ مثل أحاديث عيسى والدجال والمهدي، وكذلك له فتاوى في أول أمره مخالفة للحق، ولكنه -بعدُ- اعتذر عن بعضها[61].

وفاة الشيخ :

كان للشيخ رشيد روابط قوية بالمملكة العربية السعودية، فسافر بالسيارة إلى السويس لتوديع الأمير سعود بن عبد العزيز، وزوده بنصائحه، وعاد في اليوم نفسه وكان قد سهر أكثر الليل فتعب ثم لم يلبث أن خرجت روحه في يوم الخميس الموافق (23 من جمادى الأولى 1354ه 22 مــن أغسطـس 1935م). ولقد دفن الشيخ رشيد بجوار شيخه "محمد عبده" في مقابر المجاورين بالأزهر.

[61] مسائل وأجوبتها للعلامة الألباني مجلة (الأصالة) عدد 2 ص73.
http://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=24205

https://www.sahab.net/forums/index.php?app=forums&module=forums&controller=topic&id=76296

صفي الرحمن المباركفوري[62]

(1361 هـ - 1942 م.- 1427 هـ - 2006 م)

هو صفي الرحمن بن عبد الله بن محمد أكبر بن محمد علي بن عبد المؤمن بن فقيرالله المباركفوري الأعظمي. أحد علماء الحديث في الهند. تميز بعلمه الغزير وتواضعه الجم، وقد شارك في ندوات ومحاضرات في مختلف أرجاء الهند وفي الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية وكثير من الدول الأخرى. عمل بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لمدة عشر سنوات ابتداءً من عام 1988. عمل على تآليف العديد من الكتب القيمة باللغتين العربية والآردية وأشهرها "الرحيق المختوم".

ولد صفي الرحمن المباركفوري في 4 يونيو 1943 بقرية من ضواحي مباركفور وتعرف الآن بشرية حسين آباد في منطقة أعظم كره من ولاية أتر برديش بالهند. التحق بمدرسة دار التعليم في مباركفور سنة 1948 م ، وأمضى فيها 6 سنوات في دراسة المرحلة الابتدائية. التحق المباركفوري في عام 1954 بمدرسة إحياء العلوم بمدينة مباركفور لمدة خمس سنوات هي مدة الدراسة بالمدرسة. تلقى المباركفوري في المدرسة العلوم الشرعية وعلوم التفسير والفقه. تخرج المباركفوري من المدرسة بتقدير امتياز في عام 1961.

[62] **فائدة** : هناك مجموعة من العلماء يعرفون بالمباركفوري لكونهم ينتسبون إلى مدينة مباركفور التابعة لأتر برديش بالهند، منهم أبو العلا عبد الرحمن المباركفوري صاحب تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي (ت : 1353ه)، وتلميذه عبيد الله المباركفوري صاحب مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ت : 1414ه)، وتلميذ عبيد الله وهو صفي الرحمن المباركفوري صاحب كتاب "الرحيق المختوم" و"المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير" وأمير جماعة أهل الحديث بالهند (ت : 1427 هـ). والعلامة ظهير الدين المباركفوري المتوفي عام 2017، أحد أعلام الحديث بشبه القارة الهندية، وتلميذ المحدث أحمد الدهلوي، وآخر تلامذة الشيخ المحدث عبد الرحمن المباركفوري.

وبعد التخرج اختير الشيخ مدرساً في نفس المدرسة، ثم أستاذاً في الفقه والحديث لعدة سنوات في الجامعة السلفية ببنارس،(كبرى جامعة السلفيين في الهند) ثم شغل بعد ذلك منصب رئيس التحرير لمجلة (محدث) وهي تصدر شهريا إلى الآن من الجامعة السلفية، وفي عام 1408هـ اختير باحثاً في مركز السنة والسيرة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واستمر فيه إلى عام 1418 هـ ـ وبطلب من مدير مكتبة دار السلام بالرياض اختير مشرفا على البحوث العلمية فيهاعام 1418 ه .

من نتاج الشيخ العلمي

أما مؤلفات الشيخ فهي كثيرة باللغة الأردية وله من المؤلفات بالعربية مايلي :

الرحيق المختوم[63].

المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير. تحقيق تفسير الجلالين

منة المنعم في شرح صحيح مسلم. إبراز الحق والصواب في مسألة السفور والحجاب.

إتحاف الكرام في شرح بلوغ المرام. بهجة النظر في مصطلح أهل الأثر.

الأحزاب السياسية في الإسلام. الفرقة الناجية خصائصها وميزاتها.

روضة الأنوار في سيرة النبي المختار. البشارات بمحمد ﷺ في كتب الهند والبوذيين

باللغة الأردية:

سيرة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

لماذا إنكار حجية الحديث؟. الإسلام وعدم العنف.

63 أشهر كتاب ألفت فى العصر الحديث فى السيرة النبوية على الإطلاق. وقد تمت ترجمته إلى خمس عشرة لغة مختلفة

توفي الشيخ عقب صلاة جمعة العاشر من ذي القعدة سنة 1427 هـ الموافق 1 ديسمبر سنة 2006 م ، في موطنه (مباركفور أعظم كر) بالهند ، بعد مرض ألَمَّ به. و صلي عليه يوم السبت ودفن في مقبرة قريته حسين آباد .

الوحدة الرابعة

تفسير السور

سورة الزمر

مكية وآياتها خمس وسبعون آيه

بين يدي السورة

*سورة الزمر مكية ، وقد تحدثت عن (عقيدة التوحيد) بالاسهاب ، حتى لتكاد تكون هي المحور الرئيسي للسورة الكريمة ، لأنها أصل الإيمان ، وأساس العقيدة السليمة ، وأصل كل عمل صالح ، وبدون الإيمان لا يقبل عمل ولا يرفع .

*ابتدأت السورة بالحديث عن القرآن (المعجزة الكبري) الدائمة الخالدة لمحمد بن عبد الله ، وأمرت الرسول باخلاص الدين لله ، وتنزيهه جل وعلا عن مشابهة المخلوقين ، وذكرت شبهة المشركين في عبادتهم للأوثان وإتخاذهم شفعاء ، وردت على ذلك بالدليل القاطع [إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين . .] الآيات .

* ثم ذكرت الأدلة والبراهين علي وحدانية رب العالمين ، في إبداعه لخلق السموات والأرض ، وفي ظاهرة الليل والنهار ، وفي تسييره للشموس والأقمار ، وفي خلق الإنسان في أطوار في ظلمات الأرحام ، وكلها براهين ساطعة على قدرة الله ووحدانية [خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار . .] الآيات .

* وتناولت السورة موضوع العقيدة بوضوح وجلاء ، وكشفت عن مشهد الخسران المبين للكفرة المجرمين في دار الجزاء ، حيث يذوقون ألوان العذاب ، وتغشاهم ظلل من النار من فوقهم ومن تحتهم [لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون . .] الآيات .

*وذكرت السورة مثلا يوضح الفارق الكبير بين من يعبد إلها واحدا ، ومن يعبد آلهة متعددة ، لا تسمع ولا تستجيب ، وهو مثل للعبد الذي يملكه شركاء متخاصمون ، والعبد الذي يملكه سيد واحد ، ثم ذكرت حالة المشركين النفسية عندما يسمعون توحيد الله تنقبض قلوبهم ، وإذا سمعوا ذكر الطواغيت هشوا وبشوا [ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ، هل يستويان مثلا ؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . .] الآيات .

*ثم جاءت الآيات طرية ندية تدعو العباد إلي الإنابة لربهم ، والرجوع إليه ، قبل أن يداهمهم الموت بغتة، أو يفاجئهم العذاب من حيث لا يشعرون ، وحينئذ يتوبون ويندمون ، في وقت لا ينفع فيه توبة ولا ندم [قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم . .] الآيات .

*وختمت السورة الكريمة بذكر نفخة الصعق ، ثم نفخة البعث والنشور ، وما يعقبهما من أهوال الآخرة وشدائدها ، وتحدثت عن يوم الحشر الأكبر ، حيث يساق المتقون الأبرار إلي الجنة زمرا ، ويساق المجرمون الأشرار إلى جهنم زمرا ، في مشهد هائل ، يحضره الأنبياء والصديقون والشهداء الأبرار ، والوجود كله يتجه إلي ربه بالحمد والثناء فى خشوع واستسلام [ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . .] الآيات إلى نهاية السورة الكريمة.

التسمية :

سميت " سورة الزمر " لأن الله تعالي ذكر فيها زمرة السعداء من أهل الجنة ، وزمرة الأشقياء من أهل النار، أولئك مع الإجلال والإكرام ، وهؤلاء مع الهوان والصغار .

قال الله تعالى : **[تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . .]** إلى قوله **[وعد الله لا يخلف الله الميعاد] . من آية (1) إلى نهاية آية (20) .**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (2) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3) لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (4) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5) خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (6) إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8) أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (16) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (20)

اللغة:

(زلفى) قربى ومنه (وَأُزْلِفَتِ الجنة لِلْمُتَّقِينَ) (الشعراء: 90) أي قرّبت لهم **(يُكَوِّرُ)** التكوير: اللَّفُ والليُّ يقال: كوَّر العمامة أي لفَّها **(خَوَّلَهُ)** أعطاه وملَّكه **(قَانِتٌ)** مطيع خاضع عابد **(أَندَاداً)** أوثاناً وأصناماً **(ظُلَلٌ)** جمع ظُلَّة وهي ما يُظل الإنسان من سقف ونحوه **(الطاغوت)** من الطغيان وهو مجاوزة الحدِّ والمراد بالطاغوت كل ما عُبد من دون الله من وثن أو بشر أو حجر **(أنابوا)** رجعوا **(غُرَفٌ)** منازل رفيعة عالية في الجنة، والغرفة: المنزلة والمكانة السامية ومنه (أولئك يُجْزَوْنَ الغرفة بِمَا صَبَرُواْ) (الفرقان: 75).

التفسِير:

(تَنزِيلُ الكتاب مِنَ الله العزيز الحكيم) أي هذا القرآن تنزيلٌ من الله جل وعلا (العزيز) أي القادر الذي لا يُغلب (الحكيم) أي الذي يفعل كل شيء بحكمةٍ وتقدير وتدبير **(إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الكتاب بالحق)** أي نحن أنزلنا عليك يا محمد القرآن العظيم متضمناً الحق الذي لا مرية فيه، والصدق الذي لا يشوبه باطل أو هزل **(فاعبد الله مُخْلِصاً لَّهُ الدين)** أي فاعبد الله وحده مخلصاً له في عبادتك، ولا تقصد بعملك ونيتك غير ربك **(أَلاَ لِلَّهِ الدين الخالص)** أي ألا فانتبهوا أيها الناس: إن الله تعالى لا يقبل إلا مكان خالصاً لوجهه الكريم لأنه المتفرد بصفات الألوهية، المطَّلع على السرائر الضمائر، ومعنى «الخالص» الصافي من شوائب الشرك والرياء **(والذين اتخذوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ)** أي وهؤلاء المشركون الذين عبدوا من دونه الأوثان يقولون **(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى الله زلفى)** أي ما نعبد هذه الآلهة والأصنام إلا ليقربونا إلى الله قربى ويشفعوا لنا عنده قال الصاوي: كان المشركون إذا قيل لهم: من خلقكم؟ ومن خلق السمواتِ والأرض؟ من ربكم ورب آبائكم الأولين؟ فيقولون: الله، فيقال لهم: فما معنى عبادتكم الأصنام؟ فيقولون: لتقربنا إلى الله زلفى وتشفع لنا عنده **(إِنَّ الله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)** أي يحكم بين الخلائق يوم القيامة فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، فيدخل المؤمنين الجنة، والكافرين النار **(إِنَّ الله لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)** أي لا يوفق للهدى، ولا يرشد للدين الحق من كان كاذباً على ربه، مبالغاً في كفره، وفي الآية إشارة إلى كذبهم في تلك الدعوى **(لَّوْ أَرَادَ الله أَن يَتَّخِذَ وَلَداً)** أي لو شاء الله اتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير **(لَّاصطفى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ)** أي لاختارمن مخلوقاته ما يشاء ولداً على سبيل التبني إذ يستحيل أن يكون ذلك في حقه تعالى بطريق التولد المعروف ولكنه لم يشأ ذلك لقوله (وَمَا يَنبَغِي للرحمن أَن يَتَّخِذَ وَلَداً) (مريم: 92) وقوله (مِمَّا يَخْلُقُ) أي من المخلوقات التي أنشأها واخترعها **(سُبْحَانَهُ هُوَ الله الواحد القهار)** أي تنزه جل وعلا وتقدس عن الشريك والولد، لأنه هو الإله الواحد الأحد، المنزَّه عن النظير والمثيل، القاهر لعباده بعظمته وجلاله قال في التسهيل: نزَّه تعالى نفسه من اتخاذ الولد، ثم وصف نفسه بالواحد لأن الوحدانية تنافي اتخاذ الولد، لأنه لو

كان له ولدٌ لكان من جنسه ولا جنس له لأنه واحد، ووصف نفسه بالقهار ليدل على نفي الشركاء والأنداد، لأن كل شيء مقهور تحت قهره تعالى، فكيف يكون شريكاً له؟ ثم ذكر تعالى دلائل قدرته وحدانيته وعظمته، فقال: **(خَلَقَ السماوات والأرض بالحق)** أي خلقهما على أكمل الوجوه وأبدع الصفات، بالحق الواضح والبراهن الساطع **(يُكَوِّرُ الليل عَلَى النهار وَيُكَوِّرُ النهار عَلَى الليل)** أي يغشي الليل على النهار، ويغشي النهار على الليل، وكأنه يلفُّ عليه لفَّ اللباس علىاللابس قال القرطبي: وتكويرُ الليل على النهار تغشيتُه أياه حتى يُذهب ضوءه، ويغشي النهار على الليل فيذهب ظلمته وهذا منقول عن قتادة وهو معنى قوله تعالى: يُغشي الليلَ النهار يطلبه حيثياً **(وَسَخَّرَ الشمس والقمر)** أي ذلَّلهما لمصالح العباد **(كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى)** أي كلٌ منهما يسير إلى مدة معلومة عند الله تعالى، ثم ينقضي يوم القيامة حين تكور الشمس وتنكدر النجوم **(أَلا هُوَ العزيز الغفار)** أي هو جل وعلا كامل القدرة لا يغلبه شيء، عظيم الرحمة والمغفرة والإحسان قال الصاوي: صُدِّرت الجملة بحرف التنبيه «ألا» للدلالة على كمال الاعتناء بمضمونها كأنه قال: تنبهوا يا عبادي فإني أنا الغالب على أمري، والستَّار لذنوب خلقي فأخلصوا عبادتكم ولا تشركوا بي أحداً.

(خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) أي خلقكم أيها الناس من نفسٍ واحدة هي آدم، وهذا من جملة أدلة وحدانيته، وانفراده بالعزة والقره، وجمع صفات الألوهية **(ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)** أي ثم خلق من آدم وحواء ليحصل التجانس والتناسل قال الطربي: المعنى: **(خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ)** يعني آدم **(ثم خلق منها زوجها)** يعني حواء خلقها من ضلعٍ من أضلاعه **(وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ الأنعام ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ)** أي وأوجد لكم من الأنعام المأكولة وهي الإبل، والبقر، والغنم، والمعز، ثمانية أزواج من كل نوعٍ ذكراً وأنثى قال قتادة: من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، كلُّ واحدٍ زوج، وسميت أزواجاً لأن الذكر زوج الأنثى، والأنثى زوج الذكر قال المفسرون: والإنزالُ عبارةٌ عن نزول أمره وقضائه **(يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّن بَعْدِ خَلْقٍ)** أي يخلقكم في بطون أمهاتكم أطواراً، فإن الإنسان يكون نطفة، ثم علقة، ثم مضغة إلى أن يتم خلقه، ثم ينفخ فيه الروح فيصير خلقاً آخر **(فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ)** هي البطن، والرحم، والمشيمة، وهو الكيس الذي يغلفُ الجنين **(ذلكم الله رَبُّكُمْ)** أي ذلكم الخالق المبدع المصوّر هو الله ربُّ العالمين، ربكم وربُّ آبائكم الأولين **(لَهُ الملك)** أي له الملك والتصرف التام، في الإيجاد والإعدام **(لا إله إِلاَّ هُوَ)** أي لا معبود بحقٍ إلا الله ولا ربَّ لكم سواه **(فأنى تُصْرَفُونَ)** ؟ أي فيكف تنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره؟ ثم بعد أن ذكَّرهم بآياته ونعمه، حذَّرهم من الكفر والجحود لفضله وإحسانه فقال **(إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنكُمْ)** أي

إن تكفروا أيها الناس بعدما شاهدتم من آثار قدرته وفنون نعمائه، فإن الله مستغنٍ عنكم وعن إيمانكم وشكركم وعبادتكم **(وَلاَ يرضى لِعِبَادِهِ الكفر)** أي لا يرضى الكفر لأحدٍ من البشر قال الرازي: أشار تعالى إلى أنه وإن كان لا ينفعه إيمان، ولا يضره كفران، إلا أنه لا يرضى بالكفر بمعنى أنه لا يمدح صاحبه ولا يثيبه عليه وإن كان واقعاً بمشيئته وقضائه **(وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ)** أي وإن تشكروا ربكم يرضى هذا الشكر منكم، لأجلكم ومنفعتكم لا لانتفاعه بطاعتكم قال أبو السعود: عدم رضائه بكفر عباده لأجل منفعتهم ودفع مضرَّتهم، رحمة بهم لا لتضرره تعالى بذلك، ورضاه بشكرهم لأجلهم ومنفعتهم لأنه سبب فوزهم بسعادة الدارين، ولهذا فرَّق بين اللفظين فقال «ولا يرضى لعباده الكفر» وقال هنا «يرضه لكم» لأن المراد بالأول تعميم الحكم ثم تعليله بكونهم عباده **(وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى)** أي ولا تحمل نفسٌ ذنب نفسٍ أخرى، بل كلٌ يؤاخذ بذنبه **(ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ)** أي ثم مرجعكم ومصيركم إليه تعالى **(فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** أي فيحاسبكم ويجازيكم على أعمالكم **(إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور)** أي يعلم ما تكنه السرائر وتخفيه الضمائر، وفيه تهديدٌ وبشارة للمطيع **(وَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ)** أي وإذا أصاب الإنسان الكافر شدة من فقر ومرضٍ وبلاء **(دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ)** أي تضرع إلى ربه في إزالة تلك الشدة، مقبلاً غليه مخبتاً مطيعاً **(ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ)** أي ثم إذا أعطاه نعمةً منه وفرَّج عنه كربته **(نَسِيَ مَا كَانَ يدعوا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ)** أي نسي الضرب الذي كان يدعو ربه لكشفه وتمرَّد وطغى **(وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ)** أي وجعل لله شركاء في العبادة ليصد عن دين الله وطاعته **(قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً)** أمرٌ للتهديد أي تمتع بهذه الحياة الدنيا الفانية، وتلذَّذ فيها وأنت على كفرك، عمراً قيلاً وزمناً يسيراً **(إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النار)** أي فمصيرك إلى نار جهنم، وأنت من المخلدين فيها **(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَآءَ اليل سَاجِداً وَقَآئِماً)** استفهام حذف جوابه لدلالة الكلام عليه أي أم من هو مطيع عابد في ساعات الليل يتعبد ربه في صلاته ساجداً وقائماً كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً؟ قال القرطبي: بيَّن تعالى أن المؤمن ليس كالكافر الذي مضى ذكره **(يَحْذَرُ الآخرة وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ)** أي حال كونه خائفاً من عذاب الآخرة، راجياً رحمة ربه وهي الجنة، هل يستوي هذا المؤمن التقي مع ذلك الكافر الفاجر؟ لا يستون عند الله، ثم ضرب مثلاً فقال **(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذين يَعْلَمُونَ والذين لاَ يَعْلَمُونَ)** ؟ أي هل يتساوى العالم والجاهل؟ فكما لا يتسوي هذان كذلك لا يستوي المطيع والعاصي **(إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الألباب)** أي إنما يعتبر ويتعظ أصحاب العقول السليمة قال الإمام الفخر: واعلم أن هذه الآية دالة على أسرار عجيبة، فأولها أنه بدأ فيها بذكر العمل، وختم فيها بذكر العلم، أما العمل فهو القنوت، والسجود، والقيام، وأما العلم ففي قوله (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذين يَعْلَمُونَ والذين لاَ يَعْلَمُونَ) ؟ وهذا يدل على أن كمال الإنسان محصورٌ في هذين المقصودين، فالعمل هو البداية، والعلم والمكاشفة هو النهاية، وفي الكلام حذف تقديره أمَّن هو قانتٌ

كغيره؟ وإنما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه، لأنه تعالى ذكر قبل هذه الآية الكافر، ثم مثَّل بالذين يعلمون، وفيه تنبيه عظيم على فضيلة العلم **(قُلْ ياعباد الذين آمَنُواْ اتقوا رَبَّكُمْ)** أي قل يا محمد لعبادي المؤمنين يجمعوا بين الإيمان وتقوى الله وهي البعدُ عن محارم الله قال المفسرون: نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين عزوا على الهجرة إلى أرض الحبشة والغرضُ منها التأنيس لهم والتنشيط إلى الهجرة ومعنى التقوى: امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وكأن العبد بذلك يجعل بينه وبين النار وقاية **(لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هذه الدنيا حَسَنَةٌ)** أي لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة عظيمة في الآخرة وهي الجنة دار الأبرار **(وَأَرْضُ الله وَاسِعَةٌ)** أي وأرض الله فسيحة فهاجروا من دار الكفر إلى دار الإيمان، ولا تقيموا في أرضٍ لا تتمكنون فيها من إقامة شعائر الله **(إِنَّمَا يُوَفَّى الصابرون أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)** أي إنما يعطى الصابرون جزاءهم بغير حصر، وبدون عدد أو وزن قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال إنما يغرف غرفاً **(قُلْ إني أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ الله مُخْلِصاً لَّهُ الدين)** أي قل يا محمد أُمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له قال المفسرون: وإنما خص الله تعالى الرسول بهذا الأمر لينبه على أنَّ غير بذلك أحق فهو كالترغيب للغير **(وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المسلمين)** أي وأُمرت أيضاً بأن أكون أولَ المسلمين من هذه الأمة قال القرطبي: وكذلك كان، فإنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحكمها، وأسلم وجهه لله وآمن به ودعا إليه **(قُلْ إني أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)** أي وأخاف إن عصيبت أمره أن يعذبني يوم القيامة بنار جهنم قال الصاوي: والمقصود منها زجر الغير عن المعاصي، لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كان خائفاً مع كمال طهارته وعصمته فغيره أولى، وذلك سنة الأنبياء والصالحين حيث يخبرون غيرهم بما اتصفوا به ليكونوا مثلهم **(قُلِ الله أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي)** أي قل لهم يا محمد لا أعبد إلا الله وحده، مخلصاً له طاعتي وعبادتي من كل شائبة، وليس هذا بتكرار لأن الأول إخبار بأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مأمور بالعبادة، والثاني إخبار بخوفه من عذاب الله إن عصى أمره، والثالث إخبار بامتثاله الأمر مع إفادة الحصر كأنه يقول: أعبد الله ولا أعبد أحداً سواه **(فاعبدوا مَا شِئْتُمْ مِّن دُونِهِ)** صيغة أمر على جهة التهديد والوعيد أي اعبدوا ما شئتم من دون الله من الأوثان والأصنام فسوف ترون عاقبة كفركم كقوله (اعملوا مَا شِئْتُمْ) (فصلت: 40) **(قُلْ إِنَّ الخاسرين الذين خسروا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القيامة)** أي حقيقة الخسران الذين خسروا أنفسهم وأهليهم، حيث صاروا إلى نار مؤبدة يصلون سعيرها يوم القيامة، فهؤلاء هم الخاسون كل الخسران قال ابن عباس: إنَّ لكل رجلٍ منزلاً وأهلاً وخدماً في الجنة، فإن أطاع اللهَ أُعطي ذلك، وإن كان من أهل النار حُرم ذلك، فخسر نفسه وأهله ومنزله **(أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الخسران المبين)** أي ألا فانتبهوا أيها القوم ذلك هو الخسرانُ الواضح الذي ليس بعده خسرانٌ! قال أبو حيان: بالغ في بيان الخسران بأداة التنبيه «ألاَ»

وبالإشارة إليه «ذلك» وتأكيده بأداة الحصر «هو» وتعريفه بأل ووصفه بأنه بيّن (الخسران المبين) أي الواضح لمن تأمله أدنى تأمل، ثم ذلك خسرانهم في الدنيا ذكر حالهم ومآلهم في الآخرة فقال **(لَهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النار وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ)** أي تغاشهم نار جنهم من فوقهم ومن تحتهم، وتحيط بهم من جميع جوانبهم، ومعنى الظللِ أطباقٌ من نار جنهم، وتسميتها ظُللاً تهكمٌ بهم، لأنها محرقة والظلةُ تقي من الحر **(ذَلِكَ يُخَوِّفُ الله بِهِ عِبَادَهُ)** أي ذلك العذاب الشديد الفظيع، إنما يقصه تعالى ليخوف به عباده، لينزجروا عن المحارم والمآثم **(ياعباد فاتقون)** أي يا أوليائي خافوا عذابي ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي، قال الزمخشي: وهذه عظة من الله تعالى لعباده ونصيحة بالغة. . والحكمة من ذكر أحوال النار تخويف المؤمنين منها ليتقوها بطاعة ربهم **(والذين اجتنبوا الطاغوت أَن يَعْبُدُوهَا)** لما ذكر وعيد عبده الأوثان، ذكر وعد أهل الفضل والإحسان، ممن احترز عن الشرك والعصيان، ليكون الوعد مقروناً بالوعيد، فيحصل كمال الترغيب والترهيب والمعنى: والذين انتهوا عن عبادة الأوثان وطاعة الشيطان، وتباعدوا عنها كل البعد قال أبو السعود: «الطاغوت» البالغ أقصى غاية الطغيان كالرحموت والعظموت، والمراد به الشيطان وصف به للمبالغة **(وأنابوا إِلَى الله)** أي رجعوا إلى طاعة الله وعبادته **(لَهُمُ البشرى)** أي له البشرى السارة من الله تعالى بالفوز العظيم بجنات النعيم **(فَبَشِّرْ عِبَادِ. الذين يَسْتَمِعُونَ القول فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)** أي فبشّر عبادي المتقين الذين يستمعون الحديث والكلام فيتبعون أحسن ما فيه قال ابن عباس: هو الرجل يسمع الحسن والقبيح، فيتحدث بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به. وهذا ثناء من الله تعالى عليهم بنفوذ بصائرهم، وتمييزهم الأحسن من الكلام، فإذا سمعوا قولاً تبصَّروه وعملوا بما فيه، وأحسنُ الكلام كلام الله وخير الهدي هديُ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما وضع الظاهر (فَبَشِّرْ عِبَادِ) بدل الضمير (فبشرهم) تشريفاً لهم وتكريماً بالإضافة إليه سبحانه **(أولئك الذين هَدَاهُمُ الله)** أي أولئك المتصفون بتلك الصفات الجليلة هم الذين هداهم الله لما يرضاه، ووفقهم لنيل رضاه **(وأولئك هُمْ أُوْلُواْ الألباب)** أي أولئك هم أصحاب العقول السليمة، والفطر المستقيمة **(أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العذاب)** أي أفمن وجبت له الشقاوة من الله تعالى، وجوابه محذوفٌ دلَّ عليه ما بعده أي هل تقدر على هدايته؟ لا ثم قال تعالى **(أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النار)** ؟ أي هل تستطيع يا محمد أن تنقذ من هو في الضلال والهلاك؟ قال القرطبي: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحرص على إيمان قومه وقد سبقت لهم من الله الشقاوة فنزلت الآية، وقال بان عباس: يريد «أبا لهب» وولده ومن تخلَّف من عشيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان، وكرر الاستفهام «أفأنت» تأكيداً لطول الكلام والمعنى: أفمن حقَّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه؟ **(لكن الذين اتقوا رَبَّهُمْ)** أي لكنْ المؤمنين الأبرار، المتقون للهِ في الدنيا، المتمسكون بشريعته وطاعته **(لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ)** أي لهم في الجنة درجات عالية

وقصورٌ شاهقة بعضها فوق بعض مبنية من زبرجدٍ وياقوت **(تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهار)** أي تجري من تحت قصورها وأشجارها أنهار الجنة من غير أخدود **(وَعْدَ الله لاَ يُخْلِفُ الله الميعاد)** أي وعدهم الله بذلك وعداً مؤكداً لا يمكن أن يتخلف لأنه وعد العزيز التقدير.

تنبيه: قال الزمخشري: أفاد قوله تعالى (يَسْتَمِعُونَ القول فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) أن المؤمنين ينبغي أن يكونوا نُقَّاداً في الدين، يميزن بين الحسن والأحسن، والفاضل والأفضل، ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها دليلاً، وأبينها أمارة، وألا يكونوا في مذهبهم كما قال القائل "ولا تكن مثل عيرٍ قيد فانقادا"

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (21) أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (22) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23) أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (24) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (25) فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (26) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (28) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (29) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (31)

المنَاسَبَة:

لما ذكر تعالى أحوال المشركين وضلالاتهم في عبادة غير الله، أردفه بذكر دلائل الوحدانية، ثم ذكر القرآن العظيم أشرف الكتب السماوية المنزَّلة، ومع إقرارهم بفصاحته وإعجازه كذَّب به المكذبون، ثم ضرب للمشرك والموحّد مثلاً في غاية الوضوح.

اللغَة:

(سَلَكَهُ) أدخله **(يَنَابِيعَ)** جمع ينبوعٍ وهو عين الماء من الأرض **(يَهِيجُ)** ييبس قال الأصمعي: هاجت الأرض هيج إذا أدبر نبتُها وولى وقال الجوهري: هاج النَّبْت هياجاً إذا يبس، وأرضُ هائجة إذا يبس بقلُها أو اصفرَّ (حُطَاماً) فُتاتاً وهشيماً، من تحطَّم العود إذا تفتَّت من لا يرقُّ ولا يلين **(مَّثَانِيَ)** مكرراً فيه الحكم والمواعظ والأمثال **(تَقْشَعِرُّ)** تضطرب وتتحرك من الخوف **(الخزي)** الذل والهوا **(مُتَشَاكِسُونَ)** متنازعون ومختلفون، ورجلٌ شكس: شرس الخُلق والطباع.

التفسِير:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السمآء مَآءً) أي ألم تر أيها الإنسان العاقل أنَّ الله بقدرته أنزل المطر من السحاب **(فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأرض)** أي أدخله مسالك وعيوناً في الأرض وأجراه فيها قال المفسرون: وهذا دليلٌ على أن ماء العيون من المطر، تحبسه الأرض ثم ينبغ شيئاً فشيئاً قال ابن عباس: ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء، ولكنْ عروق الأرض تغيّره **(ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ)** أي ثم يُخرج بهذا الماء النازل من السماء والنابع من الأرض أنواع الزروع، المختلفة الأشكال والألوان، من أحمر وأبيض وأصفر، والمختلفة الأصناف من قمح وأرز وعدس وغير ذلك قال البيضاوي: **(مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ)** أي أصنافه من بر وشعير وغيرهما، أو كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما **(ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً)** أي ثم ييبس فتراه بعد خضرته مصفراً **(ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً)** أي ثم يصبح فتاتاً وهشيماً متكسراً **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لذكرى لأُوْلِي الألباب)** أي إنَّ فيما ذُكر لعظة وعبرة، ودلالةً على قدرة الله ووحدانيته لذوي العقول المستنيرة. . والآية فيها تمثيلٌ لحياة الإنسان بالحياة الدنيا، فمهما طال عمر الإنسان فلا بدَّ من الانتهاء، إلى أن يصير مصفر اللون، متحطم الأعضاء، متكسراً كالزرق بعد نضرته، ثم تكون عاقبته الموت قال ابن كثير: هكذا الدنيا تكون خضرة ناضرة حسناء، ثم تعود عجوزاً شوهاء، وكذلك الشاب يعود شيخاً هرماً، كبيراً ضعيفاً، وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير **(أَفَمَن شَرَحَ الله صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ)** أي وسَّع صدره للإسلام، واستضاء قلبه بنوره حتى ثبت ورسخ فيه **(فَهُوَ على نُورٍ مِّن رَّبِّهِ)** أي فهو على بصيرة ويقين من أمر دينه، وعلى هدىً من ربه بتنوير الحق في قلبه، وفي الآية محذوفٌ دلَّ عليه سياق الكلام تقديره كمن هو أعمى القلب، معرضٌ عن الإسلام؟ قال الطبري: وتُرك الجوابُ اجتزاءً بمعرفة السامعين وبدلالة ما بعده وتقديره: كمن أقسى اللهُ قلبه وأخلاه من ذكره حتى ضاق عن استماع الحق، واتباع الهدى **(فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ**

قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ الله) أي فويلٌ للذين لا تلين قلوبهم ولا تخشع عند ذكر الله، ب «ذكر الله» القرآن الذي أنزله الله تذكرة لعباده **(أولئك فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)** أي أولئك الذين قست قلوبهم في بعدٍ عن الحق ظاهر. ولما بيَّن تعالى ذلك أردفه بما يدل على أنَّ القرآن سبب لحصول النور والهداية والشفاء فقال **(الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديث)** أي اللهُ نزَّل القرآن العظيم أحسن الكلام قال أبو حيان: والابتداءُ باسم «اللهُ» وإسناد «نزَّل» لضميره، فيه تفخيمٌ للمُنزل، ورفعٌ من قدره كما تقول: الملكُ أكرم فلاناً، فإنه أفخم من أكرم الملك فلاناً، وحكمةُ ذلك البداءةُ بالأشرف **(كِتَاباً مُّتَشَابِهاً)** أي قرآناً متشابهاً يشبه بعضه بعضاً في الفصاحة، والبلاغة، والتناسب، بدون تعارضٍ ولا تناقض **(مَّثَانِيَ)** أي تُثنَّى وتكرر فيه المواعظ والأحكام، والحلال والحرام، وتُردَّد فيه القصص والأخبار دون سأم أو ملل قال الطبري: تُثنَّى أي تكرر فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج **(تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ)** أي تعتري هؤلاء المؤمنين خشيةٌ، وتأخذهم قشعريرة عند تلاوة آيات القرآنُ، هيبةً من الرحمن وإجلالاً لكلامه **(ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ الله)** أي تطمئن وتسكن قلوبهم وجلودهم إلى ذكر الله قال المفسرون: إنهم عند سماع آيات الرحمة والإحسان تلين جلودهم وقلوبهم وقال العارفون: إذا نظروا إلى علم الجلال طاشوا، وإن لاح لهم أثرُ من عالم الجمال عشاوا قال ابن كثير: هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار، إذا قرءوا آيات الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر جلودهم من الخشية والخوف وإذا قرءوا آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم، لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه **(ذَلِكَ هُدَى الله يَهْدِي بِهِ مَن يَشَآءُ)** أي ذلك القرآن الذي تلك صفتُه هو هدى الله يهدي به من شاء من خلقه **(وَمَن يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)** أي ومن يخذلْه اللهُ فيجعل قلبه قاسياً مظلماً، فليس له مرشدٌ ولا هاد بعد الله **(أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سواء العذاب يَوْمَ القيامة)** أي فمن يجعل وجهه وقاية من عذاب جهنم الشديد، وخبره محذوف تقديره كمن هو آمنٌ من العذاب؟ قال المفسرون: الوجه أشرف الأعضاء فإذا وقع الإنسان في شيء من المخاوف فإنه يجعل يده وقاية لوجهه، وأيدي الكفار مغلولة يوم القيامة، فإذا ألقوا في النار لم يجدوا شيئاً يتقونها به إلا وجوههم **(وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ)** أي وتقول خزنة جهنم للكافرين: ذوقوا وبال ما كنت تكسبونه في الدنيا من الكفر والمعاصي **(كَذَّبَ الذين مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ العذاب مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ)** أي كذَّب من قبلهم من الأمم السالفة فأتاهم العذاب من جهةٍ لا تخطر ببالهم **(فَأَذَاقَهُمُ الله الخزي فِي الحياة الدنيا)** أي فأذاقهم الله الذُلَّ والصغار والهوان في الدنيا **(وَلَعَذَابُ الآخرة أَكْبَرُ)** أي ولعذاب الآخرة الذي أُعدَّ لهم أعظم بكثير من عذاب الدنيا **(لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ)** أي لو كان عندهم علمٌ وفهم ما كذبوا **(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هذا القرآن مِن كُلِّ مَثَلٍ)** أي ولقد بينا ووضحنا للناس في هذا القرآن من كل الأمثال النافعة، والأخبار الواضحة ما يحتاجون إليه **(لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)** أي لعلهم يتعظون ويعتبرون

بتلك الأمثال والزواجر **(قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ)** أي حال كونه قرآناً عربياً لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه، ولا تعارض ولا تناقض **(لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)** أي لكي يتقوا الله ويجتنبوا محارمه.

ثم ذكر تعالى مثلاً لمن يشرك بالله ولمن يوحِّده فقال **(ضَرَبَ الله مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ)** أي ضرب الله لكم أيها الناس هذا المثل: رجلٌ من المماليك اشترك فيه ملاكٌ سيئو الأخلاق، بينهم اختلاف وتنازع، يتجاذبونه في حوائجهم، هذا يأمره بأمرٍ وذاك يأمره بمخالفته، وهو متحيّر موزّع القلب، لا يدري لمن يرضي؟ **(وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ)** هذا من تتم المثل أي رجلاً آخر لا يملكه إلا شخص واحد، حسن الأخلاق، فهو عبد مملوك لسيد واحد، يخدمه بإخلاص ويتفانى في خدمته، ولا يلقى من سيده إلا إحساناً **(هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً)** أي هل يستوي هذا وهذا في حسن الحال، وراحة البال؟ فكذلك لا يتساوى المؤمن الموحِّد مع المشرك الذي يعبد آلهة شتى. قال ابن عباس: هذه الآية ضربت مثلاً للمشرك والمخلص وقال الرازي: وهذا مثلٌ ضُرب في غاية الحُسن في تقبيح الشرك، وتحسين التوحيد **(الحمد للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)** لما كان المثل بيناً واضحاً في غاية الجلاء والوضوح ختم به الآية والمعنى: الحمد لله على إقامة الحجة عليهم بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعملون الحق فهم لفرط جهلهم يشركون بالله **(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ)** أي إنك يا محمد ستموت كما يموت هؤلاء، ولا يخلَّد أحد في هذه الدار **(ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القيامة عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ)** أي ثم تجتمعون عند الله في الدار الآخرة، وتختصمون فيما بينكم من المظالم وأمر الدنيا والدين ويفصل بينكم أحكم الحاكمين.

المنَاسَبَة:

لما ذكر أن الخلق صائرون إلى الموت، وأن المؤمنين والكافرين سيختصمون عند ربهم في أمر التوحيد والشرك، وأنه تعالى يفصل بينهم، ذكر هنا جزاء كلٍ من الفريقين، ثم أتبعه بذكر قبائح المشركين واعتدادهم بشفاعة الأوثان والأصنام.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (32) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (33) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (34) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (35) أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (36) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ

(37) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (38) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (39) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (40) إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (41) اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (42) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (43) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (44) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (45) قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (46) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (47) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (48) فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (49) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (50) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (51) أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52)

اللغة: **(مَثْوًى)** مأوى ومقام، مشتقٌ من ثَوى بالمكان إذا أقام به **(يُخْزِيهِ)** يُهينه ويُذله **(اشمأزت)** نفرتْ وانقبضتْ **(فَاطِرَ)** خالق ومبدع **(يَحْتَسِبُونَ)** يظنون ويؤملون يقال: جاءه الأمر من حيث لا يحتسب أي من حيث لا يظن **(حَاقَ)** نزل وأحاط بهم من كل جانب **(خَوَّلْنَاهُ)** منحناه وأعطيناه تفضلاً وكرماً **(مُعْجِزِينَ)** فائتين من العذاب **(يَقْدِرُ)** يضيق ويُقتِّر.

التفسير:

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ علَى الله) الاستفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله بنسبة الشريك له والولد **(وَكَذَّبَ بالصدق إِذْ جَآءَهُ)** أي وكذَّب بالقرآن والشريعة وقت مجيئه من غير تدبر ولا تأمل؟ أي لا أحد أظلم ممن حاله ذلك، فإنه أظلم من كل ظامل **(أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ)** ؟ أي أليس في جهنم مقام ومأوى لهؤلاء الكافرين المكذبين؟ والاستفهام هنا تقريري أي بلى لهم مأوى ومكان **(والذي**

جَآءَ بالصدق وَصَدَّقَ بِهِ) أي وأما الذين جاءوا بالصدق وهم الأنبياء، والذين صدَّقوا به وهم المؤمنون أتباعُ الرسل **(أولئك هُمُ المتقون)** أي فأولئك الموصوفون بالصفات الحميدة هم أهل التقوى والصلاح الذي يستحقون كل إحسان وإكرام **(لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ)** أي لهم كل ما يشتهون في الجنة من الحور، والقصور، والملاذِّ، والنعيم **(ذَٰلِكَ جَزَآءُ المحسنين)** أي ذلك الذي ينالونه هو ثواب كل محسن، أحسن في هذه الحياة قال بعض المفسرين: «الذي جاء بالصدق» هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وصدَّق به» هو أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، والاختيارُ أن يكون على العموم حتى يشترك في هذه الصفة كل الرسل الكرام، وكل من دعا إلى هذا الصدق عن عقيدة وإيمان من أتباعِ الرسل، ونيدل عليه **(أولئك هُمُ المتقون)** بصيغة الجمع، وهذا اختيار ابن عطية **(لِيُكَفِّرَ الله عَنْهُمْ أَسْوَأَ الذي عَمِلُواْ)** أي هؤلاء الذين صدَّقوا الأنبياء سيغفر الله لهم ما أسلفوا من الأعمال السيئة فلا يعاقبهم بها **(وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الذي كَانُواْ يَعْمَلُونَ)** أي ويثيبهم على طاعاتهم في الدنيا بحساب الأحسن الذي عملوه فضلاً منه وكرماً قال المفسرون: العدلُ أن تُحسب الحسنات وتُحسب السيئات، ثم يكون الجزاء، والفضلُ هو الذي يتجلى به الله على عباده المتقين، فيكفر عنهم أسوأ أعمالهم، فلا يبقى لها حساب في ميزانهم، وأن يجزيهم أجرهم بحساب أحسن الأعمال، فتزيد حسناتُهم وتعلو وترجّح كفة الميزان، وهذا من زيادة الكرم والإحسان **(أَلَيْسَ الله بِكَافٍ عَبْدَهُ)** ؟ الهمزة للتقرير أي أليس الله كافياً عبده ورسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شر من يريده بسوء؟ قال أبو السعود: تسليةٌ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما قالت له قريش: لتكفنَّ عن شتم آلهتنا، أو ليصيبنَّك منها خبل أو جنون وقال أبو حيان: قالت قريش: لئن لم ينته محمد عن سبِّ آلهتنا وتعييبنا لنسلِّطنها عليه فتصيبه بخبَل وتعتريه بسوء، فأنزل الله (أَلَيْسَ الله بِكَافٍ عَبْدَهُ) أي هو كافٍ عبده، وإضافته إليه تشريفٌ عظيمٌ لنبيّه **(وَيُخَوِّفُونَكَ بالذين مِن دُونِهِ)** أي ويخوفونك يا محمد بهذه الأوثان التي لا تضر ولا تنفع **(وَمَن يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)** أي ومن أشقاه الله وأضلَّه فلن يهديه أحدٌ كائناً من كان **(وَمَن يَهْدِ الله فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ)** أي ومن أراد الله سعادته فهداه إلى الحق، ووفقه لسلوك طريق المهتدين، فلن يقدر أحدٌ على إضلاله **(أَلَيْسَ الله بِعَزِيزٍ ذِي انتقام)** ؟ أي هو تعالى منيع الجناب لا يُضام من لجأ إلى بابه، وهو القادر على أن ينتقم من أعدائه لأوليائه، لأنه غالب لا يُغلب، ذو انتقام من أعدائه، وفي الآية وعيدٌ للمشركين، ووعدٌ للمؤمنين **(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السماوات والأرض لَيَقُولُنَّ الله)** هذه الآية إقامة برهان على تزييف طريقة عبدة الأوثان أي ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين عمَّن خلق السموات والأرضَ ليقولُنَّ اللهُ خالقهما، لوضوح الدليل على تفرده تعالى بالخالقية قال الرازي: إنَّ العلم بوجود الإله القادر الحكيم، لا نزاع فيه بين جمهور الخلائق، وفطرة العقل شاهدةٌ بصحة هذا العالم، فإنَّ من تأمل في عجائب أحوال السموات والأرض، وفي عجائب أحوال النبات

والحيوان، وفي عجائب بدن الإنسان وما فيه من أنواع الحِكَم الغريبة، والمصالح العجيبة، علم أنه لا بدَّ من الاعتراف بالإله القادر الحيكم الرحيم، ولهذا أقر المشركون بوجود الله **(قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله)** أي قل لهم يا محمد توبيخاً وتبكيتاً: أخبروني بعد أن تحققتم أن خالق العالم هو الله عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله **(إِنْ أَرَادَنِيَ الله بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ)** ؟ أخبروني لو أراد الله أن يصيبني بشدة أو بلاء، هل تستطيع هذه الأصنام أن تدفع عني ذلك السوء والضُّرَّ؟ **(أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ)** ؟ أي ولو أراد الله نفعاً من نعمة ورخاء هل تستطيعي أن تمنع عني هذه الرحمة؟ والجواب محذوفٌ لدلالة الكلام عليه يعني فسيقولون: لا، لا تكشف السوء، ولا تمنع الرحمة **(قُلْ حَسْبِيَ الله عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ المتوكلون)** أي الله كافيني فلا ألتفت إلى غيره، عليه وحده يعتمد المعتمدون، والغرضُ الاحتجاجُ على المشركين في عبادة ما لا يضرُّ ولا ينفع، وإقامة البرهان على الوحدانية **(قُلْ ياقوم اعملوا على مَكَانَتِكُمْ)** أي اعملوا على طريقتكم من المكر والكيد والخداع **(إِنِّي عَامِلٌ)** أي إني عاملٌ على طريقتي، من الدعوة إلى الله وإظهار دينه **(فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ)** أي فسوف تعلمون لمن سيكون العذاب الذي يذل ويخزي الإنسان **(وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ)** أي وينزل عليه عذاب دائمٌ لا ينقطع وهو عذاب النار، هل هذا العذاب سيصيبني أو يصيبكم؟ والغرض التهديد والتخويف قال أبو السعود: وفي الآية مبالغة في الوعيد، وإشعارٌ بأن حاله عليه السلام لا تزال تزداد قوةً بنصر الله وتأييده، وفي خزي أعدائه دليل غلبته عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ، وقد عذبهم الله وأخزاهم يوم بدر **(إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكتاب لِلنَّاسِ بالحق)** أي نحن أنزلنا عليك يا محمد هذا القرآن المعجز في بيانه، الساطع في برهانه، لجميع الخلق، بالحقِّ الواضح الذي لا يلتبس به الباطل **(فَمَنِ اهتدى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا)** أين فمن اهتدى فنفعه يعود عليه، ومن ضلَّ فضرر ضلاله لا يعود إلا عليه **(وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ)** أي لستَ بموكَّل عليهم حتى تجبرهم على الإيمان قال الصاوي: وفي هذا تسلية له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمعنى: ليس هداهم بيدك حتى تقهرهم وتجبرهم عليه، وإنما هو بيدنا، فإن شئنا هديناهم وإن شئنا أبقيناهم على ما هم عليه من الضلال **(الله يَتَوَفَّى الأنفس حِينَ مَوْتِهَا)** أي يقبضها من الأبدان عند فناء آجالها وهي الوفاة الكبرى **(والتي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)** أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها وهي الوفاة الصغرى قال في التسهيل: هذه الآية للاعتبار ومعناها أن الله يتوفى النفوس على وجهين: أحدهما: وفاة كاملة حقيقة وهي الموت، والآخر: وفاة النوم لأن النائم كالميت، في كونه لا يُبصر ولا يسمع، ومنه قوله تعالى (وَهُوَ الذي يَتَوَفَّاكُم بالليل) (الأنعام: 60) وفي الآية عطف والتقدير: ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها وقال ابن كثير: أخبر تعالى بأنه المتصرف في الوجود كما يشاء، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى، بما يرسل من الحفظة الملائكة الذين يقبضونها من

الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام **(فَيُمْسِكُ التي قضى عَلَيْهَا الموت)** أي فيمسك الروح التي قضى على صاحبها الموتَ فلا يردها إلى البدن **(وَيُرْسِلُ الأخرى إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى)** أي ويرسل الأنفس النائمة إلى بدنها عند اليقظة إلى وقت محدود، هو أجل موتها الحقيق قال ابن عباس: إنَّ أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فتتعارف ما شاء الله لها، فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها، أمسك الله أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها قال القرطبي: وفي الآية تنبيه على عظيم قدرته تعالى، وانفراده بالألوهية، وأنه يحيي ويميت، ويفعل ما يشاء، لا يقدر على ذلك سواه، ولهذا قال **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)** أي إن في هذه الأفعال العجيبة لعلامات واضحة قاطعة، على كمال قدرة الله وعلمه، لقومٍ يجيلون أفكارهم فيها فيعتبرون **(أَمِ اتخذوا مِن دُونِ الله شُفَعَآءَ)** أمْ للإضراب أي لم يتفكروا بل اتخذوا لهم شفعشاء من الأوثان والأصنام، فانظر إلى فرط جهالتهم حيث اتخذوا من لا يملك شيئاً أصلاً شفعاء لهم عند الله قال ابن كثير: هذا ذمٌ للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله وهي الأصنام والأوثان التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم، بلا دليل ولا برهان، وهي لا تملك شيئاً من الأمر، وليس لها عقل تعقل به، ولا سمعٌ تسمع به، ولا بصرٌ تبصر به، بل هي جمادات أسوأ حالاً بكثير من الحيوانات **(قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلاَ يَعْقِلُونَ)** الاستفهام توبيخي أي قل لهم يا محمد: أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا على هذه الصفة جمادات لا تقدر على شيء، ولا عقل لها ولا شعور؟ **(قُل لِلَّهِ الشفاعة جَمِيعاً)** أي قل لهم: الشفاعةُ للهِ وحده، لا يملكها أحدٌ إلا الله تعالى، ولا يستطيع أحد أن يشفع إلا بإذنه **(لَّهُ مُلْكُ السماوات والأرض)** أي هو المتصرف في المُلك والملكوت قال البيضاوي: أي هو تعالى مالك المُلكِ كله، لا يملك أحدٌ أن يتكلم في أمره دون إذنه ورضاه (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) أي ثم مصيركم إليه يوم القيامة، فيحكم بينكم بعدله، ويجازي كلاً بعمله.

ثم ذكر تعالى نوعاً آخر من أفعالهم القبيحة فقال **(وَإِذَا ذُكِرَ الله وَحْدَهُ)** أي وإذا أفرد الله بالذكر، ولم يذكر معه آلهتهم وقيل أمام المشركين: لا إله إلا اللهُ **(اشمأزت قُلُوبُ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخرة)** أي نفرت وانقبضت من شدة الكراهة قلوب هؤلاء المشركين **(وَإِذَا ذُكِرَ الذين مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)** أي وإذا ذكرت الأوثان والأصنام إذا هم يفرحون ويُسرون قال الإمام الفخر: هذا نوع آخر من قبائح المشركين، فإنك إذا ذكرتَ الأصنام وقلت: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ظهرتْ آثار النفرة من وجوههم وقلوبهم، وإذا ذكرتَ الأصنام والأوثان ظهرت آثار الفرح والبشارة في قلوبهم وصدورهم، وذلك يدل على الجهل والحماقة، لأن ذكر الله رأس السعادات وعنوان الخيرات، وذكر الأصنام الجمادات رأسُ الجهالات والحماقات، فنفرتُهم عن ذك رالله، واستبشارهم بذكر الأصنام، من أقوى الدلائل على الجهل الغليظ، والحُمق

الشديد **(قُلِ اللهم فَاطِرَ السماوات والأرض)** أي قل يا الله يا خالق ومبدع السموات والأرض **(عَالِمَ الغيب والشهادة)** أي يا عالم السرّ والعلانية، يا من لا تخفى عليه خافية، مما هو غائب عن الأعين أو مشاهد بالأبصار **(أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)** أي أنت تفصل بين الخلائق بعدلك وقضائك، فافصل بين وبين هؤلاء المشركين قال في البحر: لما أخبر عن سخافة عقولهم باشمئزازهم من ذكر الله، واستبشارهم بذكر الأصنام أمر رسوله أن يدعوه بأسمائه العظمى من القدرة والعلم ليفصل بينه وبين أعدائه، وفي ذلك وعيد للمشركين وتسلية للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ وقال الصاوي: أي التجيءْ إلى ربك بالدعاء والتضرع فإنه القادر على كل شيء **(وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ)** أي ولو أنَّ لهؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب القرآن والرسول **(مَا فِي الأرض جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ)** أي لو ملكوا كل ما في الأرض من أموال، وملكوا مثل ذلك معه **(لاَفْتَدَوْاْ بِهِ مِن سواء العذاب يَوْمَ القيامة)** أي لجعلوا كل ما لديهم من أموال وذخائر، فديةً لأنفسهم من ذلك العقاب الشديد يوم القيامة **(وَبَدَا لَهُمْ مِّنَ الله مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ)** أي وظهر له من أنواع العقوبات ما لم يكن في حسابهم قال أبو السعود: وهذه غايةً من الوعيد لا غاية وراءها، ونظيرها في الوعد (فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) (السجدة: 17) **(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ)** أي وظهر لهم في ذلك اليوم المفزع سيئات أعمالهم التي اكتسبوها **(وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)** أي وأحاط ونزل بهم من كل الجوانب جزاء ما كنوا يستهزئون به قال ابن كثير: أي أحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدنيا **(فَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَانَا)** أي فإذا أصاب هذا الإنسان الكافر شيءٌ من الشدة والبلاء، تضرَّع إلى الله وأناب إليه **(ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا)** اي ثم إذا أعطيناه نعمة منا تفضلا عليه وكرماً **(قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ على عِلْمٍ)** أي قال ذلك الإنسان الكافر الجاحد إنما أعطيته على علمٍ مني بوجوه المكاسب والمتاجر **(بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ)** أي ليس الأمر كما زعم بل هي اختبارٌ وامتحانٌ له، لنختبره فيما أنعمنا عليه أيطيع أم يعصي؟ **(ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)** أي ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون أن إعطاءهم المال اختبار وابتلاء فلذلك يبطرون **(قَدْ قَالَهَا الذين مِن قَبْلِهِمْ)** أي قال تلك الكلمة والمقالة الكفار قبلهم كقارون وغيره حيث قال (إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ على عِلْمٍ عندي) (القصص: 78) **(فَمَآ أغنى عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)** أي فما نفعهم ما جمعوه من الأموال، ولا ما كسبوه من الحُطام **(فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ)** أي فنالهم جزاء أعمالهم السيئة **(والذين ظَلَمُواْ مِنْ هؤلاء)** أي والذين ظلموا من هؤلاء المشركين كفار قريش **(سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ)** أي سينالهم جزاء أعمالهم القبيحة كما أصاب أولئك قال البيضاوي: وقد أصابهم ذلك فإنهم قد قُحطوا سبع سنين حتى أكلوا الجيف وقُتل ببدرٍ صناديدهم **(وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ)** أي وليسوا بفائتين من عذابنا، لا يعجزوننا هرباً ولا يفوتوننا طلباً. . ثم ردَّ عليهم زعمهم فيما

أوتوا من المال وسعة الحال فقال **(أَوَلَمْ يعلموا أَنَّ الله يَبْسُطُ الرزق لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ)** ؟ أي أولم يعلم هؤلاء المشركون أن الله يوسّع الرزق على قوم، ويضيّقه على آخرين؟ فليس أمر الرزق تابعاً لذكاء الإنسان أو غبائه، إنما هو تابعٌ للقسمة والحكمة **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** أي إن في الذي ذكر لعبراً وحججاً لقوم يصدِّقون بآيات الله قال القرطبي: وخصَّ المؤمن بالذكر، لأنه هو الذي يتدبر الآيات وينتفع بها، ويعلم أن سعة الرزق قد يكون استدراجاً، وأن تقتيره قد يكون إعظاماً.

المنَاسَبة:

لما ذكر تعالى أحوال الفجرة المشركين، وذكر ما يكونون عليه في الآخرة من الذل والهوان، دعا المؤمنين إلى الإنابة والتوبة قبل فوات الأوان، وختم السورة بذكر عظمة الله وجلاله يوم الحشر الأكبر، حيث يكون العدل الإلهي والقسطاسُ المستقيم، ويساق السعداء إلى الجنة زمراً، والأشقياء إلى النار زمراً (وَسِيقَ الذين اتقوا رَبَّهُمْ إِلَى الجنة زُمَراً. .) الآية.

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (58) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (60) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (61) اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (63) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (64) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (66) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (69) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (70) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا

حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(75)

اللغَة: (**بَغْتَةً**) فجأة (**مَثْوَى**) مكان إقامة يقال: ثوى بالمكان أقام فيه (**مَقَالِيدُ**) خزائن ومفاتيح (**زُمَراً**) جماعات جماعات جمع زُمرة وهي الجماعة (**خَزَنَتُهَا**) حُرَّاسها الموكلون عليها (**نَتَبَوَّأُ**) تبوأ المكانَ حلَّ ونزل فيه (**حَآفِّينَ**) محيطين به من أطرافه وجهاته.

التفسِير: (**قُلْ ياعبادي الذين أَسْرَفُواْ على أَنفُسِهِمْ**) أخبر يا محمد عبادي المؤمنين الذين أفرطوا في الجناية على أنفسهم بالمعاصي والآثام (**لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ الله**) أي لا تيأسوا من مغفرة الله ورحمته (**إِنَّ الله يَغْفِرُ الذنوب جَمِيعاً**) أي إنه تعالى يعفو عن جميع الذنوب لمن شاء، وإن كانت مثل زبد البحر (**إِنَّهُ هُوَ الغفور الرحي**م) أي عظيم المغفرة واسع الرحمة، وظاهر الآية أنها دعوة للمؤمنين إلى عدم اليأس من رحمة الله لقوله (ياعبادي) وقال ابن كثير: هي دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبارٌ بأن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها مهما كثرت (**وأنيبوا إلى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ**) أي ارجعوا إلى الله واستسلموا له بالطاعة والخضوع والعمل الصالح (**مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العذاب**) من قبل حلول نقمته تعالى بكم (**ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ**) أي ثم لا تجدون من يمنعكم من عذابه (**واتبعوا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ**) أي اتبعوا القرآن العظيم، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والزموا أحسن كتاب أنزل إليكم فيه سعادتكم وفلاحكم (**مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العذاب بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ**) أي من قبل أن ينزل بكم العذاب فجأة وأنتم غافلون، لا تدرون بمجيئه لتتداركوا وتتأهبوا (**أَن تَقُولَ نَفْسٌ**) أي لئلا تقول بعض النفوس التي أسرفت في العصيان (**ياحسرتا على مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ الله**) أي يا حسرتي وندامتي على تفريطي وتقصيري في طاعة الله وفي حقه قال مجاهد: يا حسرتا على ماضيعت من أمر الله (**وَإِن كُنتُ لَمِنَ الساخرين**) أي وإنَّ الحال والشأن أنني كنت من المستهزئين بشريعة الله ودينه قال قتادة: لم يكفه أن ضيَّع طاعة الله حتى سخر من أهلها (**أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ الله هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ المتقين**) «أو» للتنويع أي يقول الكافر والفاجر هذا أو هذا والمعنى لو أن الله هداني لاهتديت إلى الحق، وأطعت الله، وكنت من عباده الصالحين قال ابن كثير: يتحسر

المجرم ويودُّ لو كان من المحسنين المخلصين، المطيعين لله عزَّ وجل **(أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العذاب لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ المحسنين)** أي أو تقول تلك النفس الفاجرة حين مشاهدتها العذاب لو أنَّ لي رجعةً إلى الدنيا لأعمل بطاعة الله، وأُحسن سيرتي وعملي **(بلى قَدْ جَآءَتْكَ آيَاتِي)** هو جواب قوله **(لَوْ أَنَّ الله هَدَانِي)** والمعنى بلى قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرسل، وإنزاله الكتب **(فَكَذَّبْتَ بِهَا واستكبرت وَكُنتَ مِنَ الكافرين)** أي فكذبت بالآيات، وتكبرت عن الإيمان، وكنت من الجاحدين قال الصاوي: إن الكافر أولاً يتسحر، ثم يحتج بحجج واهية، ثم يتمنى الرجوع إلى الدنيا، ولو رُدَّ لعاد إلى ضلاله كما قال تعالى (وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (الأنعام: 28) **(وَيَوْمَ القيامة تَرَى الذين كَذَبُواْ عَلَى الله وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ)** أي ويوم القيامة ترى أيها المخاطب الذين كذبوا على الله بنسبة الشريك له والولد وجوههم سوداء مظلمة بكذبهم وافترائهم **(أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ)** استفهام تقريري أي أليس في جهنم مقام ومأوى للمستكبرين عن الإيمان، وعن طاعة الرحمن؟ بلى إنَّ لهم منزلاً ومأوى في دار الجحيم. . ولما ذكر حال الكاذبين على الله، ذكر حال المتقين لله فقال **(وَيُنَجِّي الله الذين اتقوا بِمَفَازَتِهِمْ)** أي وينجي الله المتقين بسبب سعادتهم وفوزهم بمطلوبهم وهو الجنة دار الأبرار **(لاَ يَمَسُّهُمُ السواء وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)** أي لا ينالهم هلعٌ ولا جزع، ولا هم يحزنون في الآخرة، بل هم آمنون **(فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ)** (القمر: 55) ثم عاد إلى دلائل الألوهية والتوحيد، بعد أن أفاض في الوعند والوعيد فقال **(الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)** أي الله جل وعلا خالق جميع الأشياء وموجد المخلوقات، والمتصرف فيها كيف يشاء، لا إله غيره ولا ربَّ سواه **(وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)** أي هو القائم بتدبير كل شيء **(لَّهُ مَقَالِيدُ السماوات والأرض)** أي بيده جل وعلا مفاتيح خزائن كل الأشياء، لا يملك أمرها ولا يتصرف فيها غيره قال ابن عباس: «مقاليد» مفاتيح، وقال السدي: خزائن السمواتِ والأرض بيده **(والذين كَفَرُواْ بِآيَاتِ الله أولئك هُمُ الخاسرون)** أي والذين كذَّبوا بآيات القرآن الظاهرة، والمعجزات الباهرة، أولئك هم الخاسرون أشدَّ الخسران **(قُلْ أَفَغَيْرَ الله تأمروني أَعْبُدُ أَيُّهَا الجاهلون)** ؟ أي قل يا محمد أتأمرونني أن أعبد غير الله بعد سطوع الآيات والدلائل على وحدانيته يا أيها الجاهلون؟ قال ابن كثير: إن المشركين من جهلهم دعو رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عبادة آلهتهم، ويعبدوا معه إلهَه فنزلت الآية **(وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الذين مِن قَبْلِكَ)** اللام موطئة للقسم أي واللهِ لقد أوحي إليك وإلى الأنبياء قبلك **(لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)** أي لئن أشركت يا محمد ليبطلنَّ ويفسدنَّ عملك الصالح **(وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسرين)** أي ولتكونَنَّ في الآخرة من جملة الخاسرين بسبب ذلك. وهذا على سبيل الفرض والتقدير، وإلاّ فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عصمه الله، وحاشا له أن يشرك بالله، وهو الذي جاء لإقامة صرح الإيمان والتوحيد قال أبو السعود: والكلام ورادٌ على طريقة الفرض لتهييج الرسل، وإقناط الكفرة،

والإيذان بغاية شناعة الإشراك وقبحه **(بَلِ الله فاعبد)** أي أخلص العبادة لله وحده، ولا تعبد أحداً سواه. **(وَكُن مِّنَ الشاكرين)** أي وكن من الشاكرين لإنعام ربك **(وَمَا قَدَرُواْ الله حَقَّ قَدْرِهِ)** أي وما عرفوا الله حق معرفته، إذ أشركوا معه غيره، وساووا بينه وبين الحجر والخشب في العبادة. . ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه فقال **(والأرض جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامة)** الجملة حالية والمعنى ما عظَّموه حقَّ تعظيمه والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة، التي هي غاية العظمة والجلال، فالأرضُ مع سعتها وبسطتها يوم القيامة تحت قبضته وسلطانه **(والسماوات مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)** أي والسموات مضموات ومجموعات بقدرته تعالى قال الزمخشري: والغرضُ من هذا الكلام تصويرُ عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير، من غير ذهابٍ بالقبضة واليمين إلى جهة وفي الحديث «يقبضُ اللهُ تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملكُ أين ملوكُ الأرض؟» **(سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ)** أي تنزَّه الله وتقدس عما يصفه به المشركومن من صفاتِ العجز والنقص، ثم ذكر تعالى أهوال الآخرة فقال **(وَنُفِخَ فِي الصور)** هو قرنٌ ينفخ فيه إسرافيل علهي السلام بأمر الله، والمراد بالنفخة هنا «نفخة الصَّعق» التي تكون بعد نفخة الفزع قال ابن كثير: وهي النفخة الثانية التي يموت بها الأحياء من أهل السمواتِ والأرض **(فَصَعِقَ مَن فِي السماوات وَمَن فِي الأرض)** أي فخَّر ميتاً كل من في السموات والأرض **(إِلاَّ مَن شَآءَ الله)** أي إلاَّ من شاء الله بقاءه كحملة العرض، والحور العين والولدان **(ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أخرى)** أي نُفخ فيه نفخةٌ أخرى وهي نفخةُ الإحياء **(فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ)** أي فإذا جمع الخلائق الأموات يقومون من القبور ينظرون ماذا يُؤمرون **(وَأَشْرَقَتِ الأرض بِنُورِ رَبِّهَا)** أي وأضاءت أرض المحشر بنور الله يوم القيامة، حين تجلى الباري جلا وعلا لفصل القضاء بين العباد **(وَوُضِعَ الكتاب)** أي أحضرت صحائف أعمال الخلائق للحساب **(وَجِيءَ بالنبيين والشهدآء)** أي وجيء بالأنبياء ليسألهم رب العزة عما أجابتهم به أممهم، وبالشهداء وهم الحفظة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وقال السدي: هم الذين استشهدوا في سبيل الله **(وَقُضِيَ بَيْنَهُم بالحق)** أي وقَضي بين العباد جميعاً بالقسط والعدل **(وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)** أي وهم في الآخرة لا يظلمون شيئاً من أعمالهم، لا بنقص ثواب، ولا بزيادة عقاب قال ابن جبير: لا يُنقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم **(وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ)** أي جوزي كل إنسان بما عمل من خير أو شر **(وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ)** أي هو تعالى أعلم بما عمل كل إنسان، ولا حاجة به إلى كتاب ولا إلى شاهد، ومع ذلك تشهد الكتب إلزاماً للحجة ثم فصَّل تعالى مآلٍ من الأشقياء والسعداء فقال **(وَسِيقَ الذين كفروا إلى جَهَنَّمَ زُمَراً)** أي وسيق الكفرة المجرمون إلى نار جهنم جماعاتٍ جماعات، كما يساق الأشقياء في الدنيا إلى السجون **(حتى إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا)** أي حتى إذا وصلوا إليها فتحت أبواب جهنم فجأة لتستقبلهم **(وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ)** ؟

أي وقال لهم خزنة جهنم تقريعاً وتوبيخاً: ألم يأتكم رسلٌ من البشر يتلون عليكم الكتب المنزلة من السماء؟ **(وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هذا)** ؟ أي ويخوفونكم من شر هذا اليوم العصيب؟ **(قَالُواْ بلى ولكن حَقَّتْ كَلِمَةُ العذاب عَلَى الكافرين)** أي قالوا بلى قد جاءونا وأنذرونا، وأقاموا علينا الحجج والبراهين، ولكننا كذبناهم وخالفانهم لما سبق لنا من الشقاوة قال القرطبي: وهذا اعتراف منهم بقيام الحجة عليهم، والمراد بكلمة العذاب قوله تعالى (لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجنة والناس أَجْمَعِينَ) (هود: 119) **(قِيلَ ادخلوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا)** أي قيل لهم ادخلوا جهنَّم لتصلوا سعيرها ماكثين فيها أبداً، بلا زوال ولا انتقال **(فَبِئْسَ مَثْوَى المتكبرين)** أي فبئس المقام والمأوى جهنم للمتكبرين عن الإيمان بالله وتصديق رسله **(وَسِيقَ الذين اتقوا رَبَّهُمْ إِلَى الجنة زُمَراً)** أي وسيق الأبرار المتقون لله إلى الجنة جماعاتٍ جماعات راكبين على النجائب قال القرطبي: سوقُ أهل النار طردُهم إليها بالخزي والهوان، كما يفعل بالمجرمين الخارجين على السلطان، وسوقُ أهل الجنان سوقُ مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان، لأنه لا يُذبهم بهم إلا راكبين، كما يفعل بالوافدين على الملوك، فشتَّان ما بين السوقين **(حتى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا)** أي حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابُها كقوله تعالى (جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأبواب) (ص: 50) قال الصاوي: والحكمةُ في زيادة الواو هنا «فُتحت» دون التي قبلها، أن أبواب السجون تكون مغلقة إلى أن يجيئها أصحاب الجرائم، فتفتح لهم ثم تُغلق عليهم، بخلاف أبواب السرور والفرح فإنها تفتح انتظاراً لمن يدخلها فناسب دخول الواو هنا دون التي قبلها **(وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فادخلوها خَالِدِينَ)** أي وقال لهم حراس الجنة: سلامٌ عليكم أيها المتقون الأبرار **(طِبْتُمْ)** أي طهرتم من دنس المعاصي والذنوب، فادخلوا الجنة دار الخلود، قال البيضاوي: وجواب «إذا» محذوف، للدلالة على أنَّ لهم من الكرامة والتعظيم، ما لا يحيط به الوصف والبيان قال ابن كثير: وتقديره إذا كان هذا سُعِدوا، وطابوا، وسُرّوا وفرحوا بقدر ما يكون لهم من النعيم **(وَقَالُواْ الحمد للَّهِ الذي صَدَقَنَا وَعْدَهُ)** أي وقالوا عند دخولهم الجنة واستقرارهم فيها: الحمد لله الذي حقَّق لنا ما وعدنا به من دخول الجنة قال المفسرون: والإشارة إلى وعده تعالى لهم بقوله (تِلْكَ الجنة التي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً) (مريم: 63) **(وَأَوْرَثَنَا الأرض نَتَبَوَّأُ مِنَ الجنة حَيْثُ نَشَآءُ)** أي وملَّكنا أرض الجنة نتصرف فيها تصرف المالك في ملكه وننزل فيها حيث نشاء، ولا ينازعنا فيها أحد **(فَنِعْمَ أَجْرُ العاملين)** أي فنعم أجر العاملين بطاعة الله الجنة **(وَتَرَى الملائكة حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ العرش)** أي وترى يا محمج الملائكة محيطين بعرش الرحمن، محدقين به من كل جانب **(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)** أي يسبحون الله ويمجدونه تلذذاً لا تعبداً **(وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالحق)** أي وقُضي بين العباد بالعدل **(وَقِيلَ الحمد لِلَّهِ رَبِّ العالمين)** أي وقيل الحمد لله على عدله وقضائه قال المفسرون: القائل هم المؤمنون والكافرون، المؤمنون يحمدون الله على فضله،

والكافرون يحمدونه على عدله قال ابن كثير: نطق الكون أجمعه، ناطقه وبهيمه، لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول إلى قائل، بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد.

سورة الطور

مكية وآياتها تسع وأربعون آية

بين يدي السورة

* سورة الطور من السور المكية التى تعالج موضوع العقيدة الإسلامية ، وتبحث في أصول العقيدة وهي (الوحدانية ، والرسالة ، والبعث والجزاء) شأنها كشأن سائر السور المكية ، التي تتناول أمور العقيدة الإسلامية .

* ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن أهوال الآخرة وشدائدها ، وعما يلقاه الكافرون في ذلك الموقف الرهيب " موقف الحساب " وأقسمت على أن العذاب نازل بالكفار لا محالة ، لا يمنعه مانع ، ولا يدفعه د افع ، وكان القسم بأمور خمسة تنبيها على أهمية الموضوع [والطور . وكتاب مسطور . في رق منشور . والبيت المعمور . والسقف المرفوع . والبحر المسجور . إن عذاب ربك لواقع . ما له من دافع . .] الآيات .

* ثم تناولت الحديث عن المتقين وهم في جنات النعيم ، على سرر متقابلين ، وقد جمع الله لهم أنواع السعادة " الحور العين ، واجتماع الشمل بالذرية والبنين ، والتنعم والتلذذ بأنواع المآكل والمشارب ، من فواكه وثمار ، ولحوم متنوعة مما يشتهى ويستطاب ، إلى غير ما هنالك من أنواع النعيم ، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر [إن المتقين في جنات ونعيم . فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم . .] الآيات .

* ثم تحدثت عن رسالة محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ، وأمرته بالاستمرار بالدعوة ، والتذكير والإنذار للكفرة الفجار ، غير عابىء بما يقوله المشركون ، وما يفتريه المفترون ، حول الرسالة والرسول ، فليس محمد (ص) بإنعام الله عليه بالنبوة وإكرامه بالرسالة بكاهن ولا مجنون كما زعم المجرمون [فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون . .] الآيات .

* ثم أنكرت السورة على المشركين مزاعمهم الباطلة في شأن نبوة محمد (ص) ، وردت عليهم بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة التي تقصم ظهر الباطل ، وآقامت الدلائل على صدق رسالة محمد (ص) [أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون .فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين صادقين . .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة بالتهكم بالكافرين وأوثانهم بطريق التوبيخ والتقريع ، وبينت شدة عنادهم ، وفرط طغيانهم ، وأمرت الرسول (ص) ، بالصبر على تحمل الأذى في سبيل الله، حتى يأتي نصر الله [واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم] .

التسمية :

سميت " سورة الطور " لأن الله تعالى بدأ السورة الكريمة بالقسم بجبل الطور الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ، ونال ذلك الجبل من الأنوار والتجليات والفيوضات الإلهية ما جعله مكانا وبقعة مشرفة على سائر الجبال في بقاع الأرض .

قال الله تعالى : [والطور ، وكتاب مسطور . . إلى . . إنه هو البر الرحيم] . من آية (1) إلى نهاية آية (28) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (5) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ(6) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (7) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (8) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا(9) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (10) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (11) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (12) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (13) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (14) أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (15) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(16) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (17) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (18) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (19) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ(20) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (22) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (23) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (24) وَأَقْبَلَ

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (25) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ(28)

اللغَة: **{**رَقٍّ**}** الرَّق بالفتح والكسر جلد رقيق يكتب فيه وقال أو عبيدة: الرقُّ الورق وفي الصحاح: الرقُّ بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيب **{**المسجور**}** الموقد ناراً يقال: سجرت النار أي أوقدتها **{**تَمُورُ**}** مار الشيء يمور موراً إذ تحرك واضطرب، وجاء وذهب، قال جرير:

وما زالت القتلى تمور دماؤها ... بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

{يُدَعُّونَ**}** يدفعون بشدة عنف، والدَّع: الدفع بشدة وإهانة **{**أَلَتْنَاهُمْ**}** أنقصناهم **{**رَهِينٌ**}** محبوس **{**السموم**}** لريح الحارة النافذة في المسام

التفسِير: **{**والطور وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ**}** أقسم تعالى بجل الطور الذي كلَّم الله عليه وسمى، وأقسم بالكتاب الذي أنزله على خاتم رسله وهو القرآن العظيم المكتوب **{**فِي رَقٍّ**}** أي في أديمٍ من الجلد الرقيق **{**مَّنْشُورٍ**}** أي مبسوط غير مطوي وغير مختوم عليه قال القرطبي: أقسم الله تعالى بالكتاب المسطور أي المكتوب وهو القرآن يقرأه المؤمنون من المصاحف، ويقرأه الملائكة من اللوح المحفوظ، وقيل يعني بالكتاب سائر الكتب المنزلة على الأنبياء لأن كل كتاب في رقٍّ ينشره أهله لقراءته، والرقُّ ما رُقّق من الجلد ليكتب فيه **{**والبيت المعمور**}** أي وأُقسم بالبيت المعمور الذي تطوف به الملائكة الأبرار، وهو لأهل السماء كالكعبة المشرفة لأهل الأرض، وفي حديث الإسراء «ثم رفع إليَّ البيت المعمور، فقلت يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور، يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه آخر ما عليهم» وقال ابن عباس: هو بيت في السماء السابعة حيال الكعبة أي مقابلها وحذاءها تعمره الملائكة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه **{**والسقف المرفوع**}** أي والسماء العالية المرتفعة، الواقفة بقدرة الله بلا عمد، سمَّى السماء سقفاً لأنها للأرض كالسقف للبيت ودليله **{**وَجَعَلْنَا السمآء سَقْفاً مَّحْفُوظاً**}** [الأنبياء: 32] وقال ابن عباس: هو العرش وهو صف الجنة **{**والبحر المسجور**}** أي والبحر المسجور الموقد ناراً يوم القايمة كقوله **{**وَإِذَا البحار سُجِّرَتْ**}** [التكوير: 6] أي أضرمت حتى تصير ناراً ملتهبة تتأجج تحيط بأهل الموقف **{**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ**}** هذا جواب القسم أي إن عذاب الله لنازل بالكفارين لا محالة قال ابن الجوزي: أقسم تعالى بهذه الأشياء الخمسة للتنبيه على ما فيها من عظيم قدرته على أن عذاب المشركين حق **{**مَّا لَهُ مِن

دَافِعٍ} أي ليس له دافع يدفعه عنهم قال أبو حيان: والواو الأولى للقسم وما بعدها للعطف، والجملة المقسم عليها هي {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ} وفي فإضافته إلى الرب وإضافته لكاف الخطاب أمانٌ له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن العذاب واقع بمن كذبه، ولفظ واقع أشد من كائن، كأنه مهيأ في مكان مرتفع فيقع على من حلَّ به {يَوْمَ تَمُورُ السمآء مَوْراً} أي تتحرك السماء وتضطرب اضطراباً شديداً من هول ذلك اليوم {وَتَسِيرُ الجبال سَيْراً} أي تنسف نسفاً عن وجه الأرض فتكون هباءً منثوراً كقوله{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجبال فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً} [طه: 105] قال الخازن: والحكمة في مور السماء وسير الجبال، الإنذارُ والإعلام بأن لا رجوع ولا عود إلى الدنيا، وذلك لأن الأرض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك إنما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني آدمم بذلك، فلما لم يبق لهم عودٌ إليها أزالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة {فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} أي هلاك ودمار وشدة عذاب للمكذبين أرسلَ الله في ذلك اليوم الرهيب {الذين هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ} أي الذين هم في الدنيا يخوضون في الباطل غافلون ساهون عما يراد بهم {يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا} أي يوم يُدفعون إلى نار جهنم دفعاً بشدة وعنف قال في البحر: وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيدي الكفار إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ويدفعون بهم دفعاً إلى النار على وجوههم وزجاً في أقفيتهم حتى يردوا إلى النار، فإذا دنوا منها قال لهم خزنتها {هذه النار التي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ} أي هذه نار جهنم التي كنتم تهزءون وتكذون بها في الدنيا {أَفَسِحْرٌ هذا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ} أي وتقول لهم الزبانية تقريعاً وتوبيخاً: هل هذا الذي ترونه بأعينكم من لعذاب سحرٌ، أم أنتم اليوم عميٌ كما كنتم في الدنيا عمياً عن الخبر والإيمان؟ قال أبو السعود: وقوله تعالى {أَفَسِحْرٌ هذا} توبيخ لهم وتقريع حيث كانوا يسمون القرآن الناطق بالحق سحراً فكأنه يل لهم: كنتم تقولون عن القرآن إنه سحر أفهذا العذاب ايضاً سحر أم سُدَّت أبصاركم كما سدَّت في الدنيا؟ {اصلوها فاصبروا أَوْ لاَ تَصْبِرُواْ} أي قاسوا شدتها فاصبروا على العذاب أو لا تصبروا، وهو توبيخ آخر {سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ} أي يتساوى عليكم الصبر والجزع لأنكم مخلدون في جهنم أبداً {إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} أي إنما تنالون جزاء أعمالكم القبيحة من الكفر والتكذيب، ولا يظلم ربك أحداً. . ولما ذكر حال الكفرة الأشقاء ذكر حال المؤمنين السعداء على عادة القرآن الكريم في الجمع بين الترهيب والترغيب فقال {إِنَّ المتقين فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ} أي إن الذين اتقوا ربهم في الدنيا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، هم في الآخرة في بساتين عظيمة ونعيم مقيم خالد {فَاكِهِينَ بِمَآ آتَاهُمْ رَبُّهُمْ} أي متنعمين ومتلذذين بما أعطاهم ربهم من الخير والكرامة وأصناف الملاذ من مآكل ومشارب، وملابس ومراكب، وغير ذلك من ملاذ الجنة {وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الجحيم} أي وقد نجاهم ربهم من عذاب جهنم وصرف فيها من السرور ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر {كُلُواْ واشربوا هَنِيئَاً بِمَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ} أي يقال لهم: كلوا واشربوا أكلاً وشرباً هنياً، لاتنغيص فيه ولا كدر، بسبب ما قدمتم من صالح الأعمال. ثم أخبر تعالى عن حالهم عند أكلهم وشربهم فقال {مُتَّكِئِينَ على سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ} أي جالسين على هيئة المضطجع على سرر من ذهب مكلَّلة بالدر والياقوت، مصطفة بعضها إلى جانب بعض، قال ابن كثير: {مَّصْفُوفَةٍ} أي وجوه بعضهم إلى بعض كقوله {على سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} [الحجر: 47] وفي الحديث «إن الرجل ليتكىء المتكأ مقدار أربعين سنةً ما يتحول عنه ولا يملُّه، يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه» {وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ} أي وجعلنا لهم قرينات صالحات، وزوجات حساناً من الحور العين، وهنَّ نساء بيض واسعات العيون من الحَوَر وهو شدة البياض، والعينُ جمع عيناء وهي كبير العين والبياضُ مع سعة العين نهاية الحسن والجمال {والذين آمَنُواْ واتبعتهم ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ} أي كانوا مؤمنين وشاركهم أولادهم في الإيمان {أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} أي ألحقنا الأبناء بالآباء لتقرَّبهم أعينهم وإن لم يبلغوا أعمالهم قال ابن عباس: إن الله عزو جل ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كان لم يبلغها بعمله لترَّبهم عينه وتلا الآية قال الزمخشري: فيجمع الله لأهل الجنة أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم، وبمزاوجة الحور العين، وبمؤانسة الإخوان المؤمنين، وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم {وَمَآ أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ} أي وما نقصنا الآباء من ثواب عملهم شيئاً قال في البحر: المعنى أنه تعالى يُلحق المقصِّر بالمحسن ولا ينقص المسحن من أجره شيئاً {كُلُّ امرىء بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} أي كل إنسان مرتهن بعمله لا يُحمل عليه ذنب غيره سواء كان أباً أو إبناً وقال ابن عباس: ارتهن أهل جهنم بأعمالهم، وصار أهل الجنة إلى نعيمهم وقال الخازن: المراد بالآية الكافر أي كل كافر بما عمل من الشرك مرتهن بعمله في النار، والمؤمن لا يكون مرتهناً بعمله لقوله تعالى {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ اليمين} [المدثر: 3839] . . ثم ذكر ما وعدهم به من الفضل والنعمة فقال {وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ} أي وزدناهم فوق ما لهم من النعيم بفواكه ولحوم من أنواع شتى مما يستطاب ويُشتهى {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً} أي يتعاطون في الجنة كأساً من الخمر، يتجاذبها بعضهم من بعض تلذذاً وتأنساً قال الألوسي: أي يتجاذبونها تجاذب ملاعبة كما يفعل ذلك الندامى في الدنيا لشدة سرورهم {لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ} أي لا يقع بينهم بسبب شربها هذيان حتى يتكلموا بساقط الكلام، ولا يلحقهم إثم كما يلحق شارب الخمر في الدنيا قال قتادة: نزّه الله خمر الآخرة عن قاذورات الكلام الفارغ الذي لا فائدة فيه، المتضمن للهذيان والفحش، ووصفها بحسن منظرها وطيب طعمها، فقال {بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ} [الصافات: 4647] ثم قال تعالى {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ} أي ويطوف عليهم للخدمة غلمان مماليك خصصهم تعالى لخدمتهم {كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ} أي كأنهم في الحسن، والبياض، والصفاء اللؤلؤ المصون في الصدف قال القرطبي: وهؤلاء الغلمان قي لهم أولاد المشركين وهم خدم أهل

الجنة، وليس في الجنة نصيب ولا حاجة إلى خدمة، ولكنه أخبر بأنهم علىغاية النعيم **{**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ**}** أي اقبل أهل الجنة يسأل بعضهم بعضاً عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، تلذذاً بالحديث، واعترافاً بالنعمة **{**قالوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ في أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ**}** أي قال المسئولون: إنا كنا في دار الدنيا خائفين من ربنا، مشفقين من عذابه وعقابه **{**فَمَنَّ الله عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السموم**}** أي فأكرمنا الله بالمغفرة والجنة، وأجرنا مما نخاف، وحمانا من عذاب جهنم النافذة في المسام نفوذ الريح الحارة الشديدة وهي التي تسمى **{**السموم**}** قال الفخر الرازي: والآية إشارة إلى أن أهل الجنة يعلمون ما جرى عليهم في الدنيا ويذكرونه، وكذلك الكافر لا ينسى ما كان له من النعيم في الدنيا، فتزاداد لذة المؤمن حيث يرى نفسه انتقلت من الضيف إلى السعة، ومن السجن إلى الجنة، ويزداد الكفار ألماً حيث يرى نفسه انتقلت من النعليم إلى الجحيم **{**إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ**}** أي قال أهل الجنة: إنا كنا في الدنيا نعبد الله ونتضرع إليه، فاستجاب الله لنا فأعطانا سؤالنا **{**إِنَّهُ هُوَ البر الرحيم**}** أي إنه تعالى هو المحسن، والمتفضل على عباده بالرحمة والغفران، وهو كالتعليل لما سبق، عن مسروق أن عائشة رضي الله تعالى عنها قرأت هذه الآية **{**فَمَنَّ الله عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السموم إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ البر الرحيم**}** فقالت: اللهم مُنَّ علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم.

المنَاسَبَة: لما تقدم إقسام الله تعالى على وقوع العذاب الكافرين، وذكر أشياء من أحوال المعذبين والناجين، أمر تعالى رسوله بالتذكير، إنذاراً للكافرين وتبشيراً للمؤمنين، وختم السورة الكريمة ببيان عاقبة المكذبين، وحفظ الله ورعايته لرسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (29) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ(30) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (32) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ(34) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (36) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (37) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (39) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (40) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (41) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (42) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (43) وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (44) فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ(45) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ

شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (46) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (47) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (49)

اللغَة: **{**رَيْبَ المنون**}** حوادث الدهر وصروفه، والمنون هو الدهر قال أبو ذؤيب:

أمنَ المنونِ وريْبة تتوجَّع والدَّهر ليس بمعتب من يجزع

والمنون أيضاً الموتُ من اللمنّ بمعنى القطع بأنه يقطع الأعمار **{**أَحْلاَمُهُمْ**}** عقولهم جمع حُلم وهو العقل **{**المصيطرون**}** المسيطر: المتسلط على الشيء **{**كِسْفاً**}** قطعة يقال: كسف بسكون السين وكسفة أي قطعة وجمعه كسف بفتح السين **{**مَّرْكُومٌ**}** متجمع ومتراكم بعضه فوق بعض.

التفسِير: **{**فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ**}** أي فذكّر يا محمد بالقرآن قومك وعظهم به، فما أنت بإنعام الله عليك بالنبوة وإكرامه لك بالرسالة **{**بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ**}** أي لست كاهناً تخبر بالأمور الغيبية من غير وحي، ولا مجنوناً كما زعم المشركون، إنما تنطق بالوحي. . ثم أنكر عليهم مزاعمهم الباطلة في شأن الرسول فقال **{**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المنون**}** أي بل أيقول المشركون هو شاعر ننتظر به حوادث الدهر وصروفه حتى يهلك فنستريح منه؟ قال الخازن: وريبُ المنون حوادث الدهر وصروفه، وغرضهم أنه يهلك ويموت كما هلك من كان قبله من الشعراء، والمنون اسم الموت وللدهر وأصله القطع، سيما بذلك لأنهما يقطعان الأجل **{**قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ المتربصين**}** أي قل لهم يا محمد: انتظروا بي الموت فإني منتظر هلاككم كما تنتظرون هلاكي، وهو تهكم بهم مع التهديد والوعدي **{**أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاَمُهُمْ بهاذآ**}** ؟ أي أم تأمرهم عقولهم بهذا الكذب والبهتان؟ قال الخازن: وذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول، فأزرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل، وهو تهكم آخر بالمشركين **{**أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**}** أي بل هم قوم مجاوزون الحد في الكفر والطغيان، والمكابرة والعناد **{**أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ**}** أي أم يقولون إن محمداً اختلق القرآن وافتراه من عند نفسه قال القرطبي: والتقوُّل تكلف القول، وإنما يستعمل في الكذب في غالب الأمر، يقال: قوَّلتني ما لم أقل أي أدعيته عليَّ، وتقوَّل عليه أي كذب عليه **{**بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ**}** أي ليس الأمر كما زعموا بل لا يصدقون بالقرآن استكباراً وعناداً ثم ألزمهم تعالى الحجة فقال **{**فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُواْ صَادِقِينَ**}** أي فليأتوا بكلامٍ مماثلٍ للقرآن في نظمه وحسنه وبيانه، إن كانوا صادقين في

قولهم إن محمداً افتراه، وهو تعجيزٌ لهم مع التوبيخ **{أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ}** أي هل خُلقوا من غير ربٍ ولا خالق؟ قال ابن عباس: من غير ربٍ خلقهم وقدَّرهم **{أَمْ هُمُ الخالقون}** أي أم هم الخالقون لأنفسهم، حتى تجرءوا فأنكروا وجود الله جل وعلا؟ **{أَمْ خَلَقُواْ السماوات والأرض}** أي أم هم خلقوا السموات والأرض؟ وإنما خصَّ السمواتِ والأرض بالذكر من بين سائر المخلوقات لعظمها وشرفها، ثم بيَّن تعالى السبب في إنكارهم لوحدانية اله فقال **{بَل لاَّ يُوقِنُونَ}** أي بل لا يصدقون ولا يؤمنون بوحدانية الله وقدرته على البعث ولذلك ينكرون الخالق قال الخازن: ومعنى الآية هل خُلقوا من غير شيءٍ خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون، لأن تعلق الخلق بالخالق ضروري، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق، أم هم الخالقون لأنفسهم؟ وذلك في البطلان أشدُّ، لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟ فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن له خالقاً فليؤمنوا به، وليوحدوه، وليْعبدوه، ولْيوقنوا أنه ربهم وخالقهم **{أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ}** ؟ أي أعندهم خزائن رزق الله ورمته حتى يعطوا النبوة من شاءوا ويمنعوها عمن شاءوا؟ قال ابن عباس: **{خَزَآئِنُ رَبِّكَ}** المطر والرزقُ وقال عكرمة: النبوة **{أَمْ هُمُ المصيطرون}** ؟ أي أم هم الغالبون القاهرون حتى يتصرفوا في الخلق كما يشاءون؟ لا بل الله عَزَّ وَجَلَّ هو الخالق المالك المتصرف وقال عطاء **{أَمْ هُمُ المصيطرون}** أم هم الأرباب فيفعلون ما يشاءون ولا يكونون تحت امر ولا نهي؟ **{أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ}** ؟ أي أم لهم مرقى ومصعد إلى السماء يستمعون فيه كلام الملائكة والوحي فيعلمون أنهم على حقٍّ فهم به مستمسكون؟ **{فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ}** أي فليأت من يزعم ذلك بحجة بينة واضحة على صدق استماعه كما أتى محمد بالبرهان القاطع.

ثم وبخهم تعالى على ماهو أشنع وأقبح من تلك المزاعم الباطلة وهو نسبتهم إلى الله البنات، وجعلهم لله جل وعلا ما يكرهون لأنفسهم فقال **{أَمْ لَهُ البنات وَلَكُمُ البنون}** ؟ أي كيف تجعلون لله البنات مع كراهتكم لهن وتجعلون لأنفسكم البنين؟ أهذا هو المنطق والإنصاف؟ وقال القرطبي: سفَّه أحلامهم توبيخاً لهم وتقريعاً والمعنى أتضيفون إلى الله البنات مع أنفتكم منهن، ومن كان عقله هكذا لا يُستبعد منه إنكار البعث وقال أبو السعود: تسفيهٌ لهم وتركيكٌ لعقولهم، وإيذانٌ بأن من هذا رأيه لا يكاد يُعد من العقلاء، فضلاً عن الترقي إلى عالم الملكوت، والاطلاع على الأسرار الغيبية، والالتفات إلى الخطاب لتشديد الإنكار والتوبيخ **{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً}** أي هل تسألهم يا محمد أجراً على تبليغ الرسالة وتعليم أحكام الدين؟ **{فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ}** أي فهم بسبب ذلك الأجر والغُرم الثقيل الذي أوجبته عليهم مجهدون ومتعبون فلذلك يزهدون في اتباعك، ولا يدخلون في الإسلام؟ فإن العادة أن من كلف إنساناً مالاً وضربَ عليه جُعلاً يسير مثقلاً وغارماً بسببه

فيكرهه ولا يسمع قوله ولا يمتثله {أَمْ عِندَهُمُ الغيب فَهُمْ يَكْتُبُونَ} ؟ أي أعندهم علم الغيب حتى يعلموا أنَّ ما يخبرهم به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمور الآخرة والحشر والنشر باطلٌ فلذلك يكتبون هذه المعلومات عن معرفةٍ ويقين؟ قال قتادة: هو ردٌّ لقولهم {شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المنون} والمعنى أعَلموا أن محمداً يموتُ قبلهم حتى يحكموا بذلك؟ وقال ابن عباس: أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيهن ويُخبرون الناس بما فيه؟ ليس الأمر كذلك فإنه لا يعلم أحدٌ من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله {أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً} ؟ أي أيريد هؤلاء المجرمون أن يتآمروا عليك يا محمد؟ قال المفسرون: والآية إشارة إلى كيدهم في دار الندوة وتآمرهم على قتل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال تعالى {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذين كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ} [الأنفال: 30] {فالذين كَفَرُواْ هُمُ المكيدون} أي فالذين جحدوا رسالة محمد هم المجزيون بكيدهم لأن ضربب ذلك عائد عليهم، ووباله راجع على أنفسهم كقوله {وَلاَ يَحِيقُ المكر السيىء إِلاَّ بِأَهْلِهِ} [فاطر: 43] قال الصاوي: وأوقعِ الظاهر {فالذين كَفَرُواْ} موقع المضمر تشنيعاً وتقبيحاً عليهم بتسجيل وصف الكفر {أَمْ لَهُمْ إله غَيْرُ الله} ؟ أي لهم إله خالق رازق غير الله تعالى حتى يلجأوا إليه وقت الضيف والشدة؟ ويستنجدوا به لدفع الضُّرِّ والعذاب عنهم؟ {سُبْحَانَ الله عَمَّا يُشْرِكُونَ} أي تنزَّه وتقدَّس الله عما يشركون به من الأوثان والأصنام قال الإمام الجلال: والاستفهام ب «أم» في مواضعها الخمسة عشر للتوبيخ والتقريع والإنكار. . ثم أخبر تعالى عن شدة طغيانهم وفرط عنادهم فقال {وَإِن يَرَوْاْ كِسْفاً مِّنَ السمآء سَاقِطاً} أي لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء نزلت عليهم لم ينتهوا ولم يرجعوا، ولقالوا في هذا النازل عناداً واستهزاءً: إنه سحاب مركوم {يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ} أي إنه سحاب متراكم بعضُه فوق بعض قد سقط علينا قال أبو حيان: كانت قريشٌ قد اقترحت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما اقترحت من قولهم {أَوْ تُسْقِطَ السمآء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً} [الإسراء: 92] فأخبر تعالى أنهم لو رأوا ذلك عياناً حسب اقتراحهم لبلغ بهم عتوهم وجهلهم أن يغالطوا أنفسهم فيما عاينوه ويقولوا: هو سحابٌ مركوم أي سحاب تراكم بعضه فوق بعض ممطرنا، وليس بكسفٍ ساقطٍ للعذاب {فَذَرْهُمْ حتى يُلاَقُواْ يَوْمَهُمُ الذي فِيهِ يُصْعَقُونَ} أي اتركهم يا محمد يتمادون في غيهم وضلالهم، حتى يلاقوا ذلك اليوم الرهيب يوم القيامة الذي يأتيهم فيه من العذاب ما يزيل عقولهم ويسلب ألبابهم {يَوْمَ لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} أي يوم لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذي استعملوه في الدنيا ولا يدفع عنهم شيئاً من العذاب {وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} أي ولا هم يُمنعون من عذاب الله في الآخرة {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ} أي وإن للذين كفروا عذاباً شديداً في الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس: هو عذاب القبل وقال مجاهد: هو الجوعن والقحط سبع سنين {ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} أي لا يعلمون أن العذاب نازل بهم {واصبر لِحُكْمِ رَبِّكَ} أي اصبرْ يا محمد على قضاء ربك

وحكمه، فيما حمَّلك به من إعباء الرسالة **{**فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**}** أي فإنك بفحظنا وكلاءتنا نحرسك ونرعاك **{**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ**}** أي ونزَّه ربك عما لا يليق به من صفات النقص حين تقوم من منامك ومن كل مجلس بأن تقول: سبحان الله وبحمده قال ابن عباس: أي صلِّ للهِ حين تقومُ من منامك **{**وَمِنَ الليل فَسَبِّحْهُ**}** أي ومن الليل فاذكره واعبده بالتلاوة والصلاة والناسُ نيام كقوله **{**وَمِنَ الليل فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ**}** [الإسراء: 79] **{**وَإِدْبَارَ النجوم**}** أي وصلِّ له في آخر الليل حين تدبر وتغيب النجوم بضوء الصبح قال ابن عباس: هما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر وفي الحديث "ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها".

سورة النجم

مكية وآياتها اثنتان وستون آية

بين يدي السورة

* سورة النجم مكية ، وهي تبحث عن موضوع الرسالة في إطارها العام ، وعن موضوع الإيمان بالبعث والنشور ، شأن سائر السور المكية . " ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن موضوع " المعراج " الذي كان معجزة لرسول الإنسانية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، والذي رأى فيه الرسول الكريم عجائب وغرائب في ملكوت الله الواسع ، مما يدهش العقول ويحير الألباب ، وذكرت الناس بما يجب عليهم من الإيمان والتصديق ، وعدم المجادلة والمماراة في مواضيع الغيب والوحي [والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى . .] الآيات .

* ثم تلاها الحديث عن الأوثان والأصنام التي عبدها المشركون من دون الله ، وبينت بطلان تلك الآلهة المزعومة ، وبطلان عبادة غير الله ، سواء في ذلك عبادة الأصنام ، أو عبادة الملائكة الكرام [أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى . .] ؟ الآيات . " ثم تحدثت عن الجزاء العادل يوم الدين ، حيث تجزى كل نفس بما كسبت ، فينال المحسن جزاء إحسانه ، والمسيء جزاء إساءته ، ويتفرق الناس إلى فريقين : أبرار ، وفجار [ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى . .] الآيات .

* وقد ذكرت برهانا على الجزاء العادل ، بأن كل إنسان ليس له إلا عمله وسعيه ، وأنه لا تحمل نفس وزر أخرى ، لأن العقوبة لا تتعدى غير المجرم ، وهو شرع الله المستقيم ، وحكمه العادل الذي بينه في القرآن العظيم ، وفي الكتب السماوية السابقة [وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى . .] الآيات . " وذكرت السورة الكريمة آثار قدرة الله جل وعلا في الإحياء والإماتة ، والبعث بعد الفناء ، والإغناء والإفقار ، وخلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى [وأن إلى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . " من نطفة إذا تمنى . .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة بما حل بالأمم الطاغية كقوم عاد ، وثمود ، وقوم نوح ولوط ، من أنواع العذاب والدمار ، تذكيرا لكفار مكة بالعذاب الذي ينتظرهم بتكذيبهم لرسول الله (ص) ، وزجرا لأهل البغي والطغيان عن الاستمرار في التمرد والعصيان [وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى ..] الآيات إلى نهاية السورة الكريمة.

قال الله تعالى : [والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى] إلى [هو أعلم بمن اتقىٰ] من آية (1) إلى نهاية آية (32) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (25) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (26) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (27) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (28) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (30) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32)

اللغَة: **{**هوى**}** هوى يهوي إذا سقط إلى أسفل **{**مِرَّةٍ**}** المِرَّة بكسر الميم القوة قال قطرب: تقول العرب لكل جزل الرأي حصيف العقل: ذو مرَّة **{**تدلى**}** التدلي: الامتداد من أعلى إلى أسفل يقال: تدلّى الغصن إذا امتد نحو الأسفل **{**قَابَ**}** قدر قال في البحر: القابُ والقاد والقيد: المقدار **{**ضيزى**}** جائرة مائلة عن الحق يقال: ضاز في الحكم أي جار، وضازه حقه أي يخسفه قال الشاعر:

ضازت بنو أسدٍ بحكمهم إذْ يجعلون الرأس كالذَنب

{اللمم**}** الصغائر من الذنوب قال الزجاج: أصل اللَّمم ما يعمله الإنسان المرَّة بعد المرة ولا يقيم عليه يقال: مافعلتُه إلا لمماً ولِماماً **{**أَجِنَّةٌ**}** جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن سمي جنيناً لاستتاره. التفسِير: **{**والنجم إِذَا هوى**}** أي أقسمُ بالنجم وقت سقوطه من علو قال ابن عباس: أقسم سبحانه بالنجوم إذا انقضَّت في إثر الشياطين حين استراقها السمع وقال الحسن: المراد في الآية النجوم إذا انتثرت يوم القيامة كقوله **{**وَإِذَا الكواكب انتثرت**}** [الإنفطار: 2] قال ابن كثير: الخالق يُقسم بِما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي أن يُقسم إلا بالخالق **{**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ**}** أي ما ضلَّ محمدٌ عن طريق الهداية، ولا حاد عن نهج الاستقامة **{**وَمَا غوى**}** أي وما اعتقد باطلاً قط بل هو في غاية الهدى والرشد قال أبو السعود: والخطاب لكفار قريش، والتعبير بلفظ **{**صَاحِبُكُمْ**}** للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله، فإن طول صحبتهم له، ومشاهدتهم لمحاسن أوصافه العظيمة مقتضيةٌ ذلك **{**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهوى**}** أي لا يتكلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هوى نفسي ورأي شخصي **{**إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يوحى**}** أي لا يتكلم إلا عن وحيٍ من الله عزَّ وجل قال البيضاوي: أي ما القرآن إلا وحيٌ يوحيه الله إليه **{**عَلَّمَهُ شَدِيدُ القوى**}** أي علَّمه القرآن ملكٌ شديدٌ قواه وهو جبريل الأمين قال المفسرون: ومما يدل على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها، وصاح بثمود فأصبحوا خامدين، وكان هبوطه بالوحي على الأنبياء أو صعوده في أسرع من رجعه الطرف **{**ذُو مِرَّةٍ فاستوى**}** أي ذو حصافة في العقل، وقوةٍ في الجسم، فاستقرَّ جبريل على صورته الحقيقية **{**وَهُوَ بالأفق الأعلى**}** أي وهو بأفق السماء حيث تطلع الشمس جهة المشرق قال ابن عباس: المراد بالأفق الأعلى مطلع الشمس قال الخازن: كان جبريل يأتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصورة الآدميين كما كان يأتي الأنبياء قبله، ومرة في السماء، فأما التي في الأرض فبالأفق الأعلى أيجانب المشرق حيث كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحراء فطلع عليه جبريل من ناحية المشرق وفتح جناحيه فسدَّ ما بين المشرق والمغرب، فخرَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مغشياً عليه، فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمَّه إلى نفسه وجعل يسمح الغبار عن وجهه وهو قوله **{**ثُمَّ دَنَا فتدلى**}** وأما التي في

السماء فعند سدرة المنتهى، ولم يره أحدٌ من الأنبياء على صورته الملكية التي خُلق عليها إلا نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **{ثُمَّ دَنَا فتدلى}** أي ثم اقترب جبريل من محمد وزاد في القرب منه **{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أدنى}** أي فكان منه على مقدار قوسين أو أقل قال الألوسي: والمراد إفادة شدة القرب فكأنه قيل: فكان قريباً منه **{فأوحى إلى عَبْدِهِ مَآ أوحى}** أي فأوحى جبريل إلى عبد الله ورسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أوحى إليه من أوامر الله عَزَّ وَجَلَّ **{مَا كَذَبَ الفؤاد مَا رأى}** أي ما كذب قلب محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل الحقيقية قال ابن مسعود: رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناحٍ منهما قد سدَّ الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما اللهُ به عليم **{أَفَتُمَارُونَهُ على مَا يرى}** ؟ أي أفتجادولنه يا معشر المشركين على ما رأى ليلة الإسراء والمعراج؟ قال في البحر: كانت قريش حين أخبرهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمره في الإسراء كذبوا واستخفوا حتى وصف لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيت المقدس، والجمهور على أن المرئي مرتين هو جبريل، وعن ابن عباس وعكرمة أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربه بعيني رأسه، وأنكرت ذلك عائشة وقالت إنه رأى جبريل في صورته مرتين ثم قال أبو حيان: والصحيح أن جميع ما في هذه الآيات هو مع جريل بدليل قوله تعالى **{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أخرى}** فإنه يقتضي مرة متقدمة **{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أخرى}** أي رأى الرسول جبريل في صورته الملكية مرةً أُخرى **{عِندَ سِدْرَةِ المنتهى}** أي عند سدرة المنتهى التي هي في السماء السابعة قرب العرش قال المفسرون: والسشدرة شجرة النَّبق تنبع من أصلها الأنهار، وهي عين يمين العرش، وسميت سدرة المنتهى لأنه ينتهي إليها علم الخلائق وحميع الملائكة، ولا يعلم أحدٌ ما وراءها إلا الله جل وعلا وفي الحديث "صُعد بي إلى السماء السابعة، ورفعت إليَّ سدرة المنتهى، فإذا نبقها أي ثمرها مثل قلال هجر، وإذا أوراقها كآذان الفيلة" **{عِندَهَا جَنَّةُ المأوى}** أي عند سدرة المنتهى الجنة التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين **{إِذْ يغشى السدرة مَا يغشى}** أي رآه وقت ما يغشى السدرة ما يغشى من العجائب قال الحسن: غشيها نور رب العالمين فاستنارت وقال ابن مسعود: غشيها فراش من ذهب وفي الحديث »لما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيَّرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها» قال المفسرون: رأى عليه السلام شجرة سدرة المنتهى وقد غشيتها سبحات أنوار الله عَزَّ وَجَلَّ، حتى ما يستطيع أحد أن ينظر إليها، وغشيتها الملائكة أمثال الطيور يعبدون الله عندها، يجتمعون حولها مسبِّحين وزائرين كما يزور الناس الكعبة وفي الحديث «رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب، ورأيت على كل ورقة ملكاً قائماً يسبح لله تعالى» **{مَا زَاغَ البصر}** أي ما صال بصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المقام وفي تلك الحضرة يميناً وشمالاً **{وَمَا طغى}** أي وما جاوز الحدَّ الذي رأى قال القرطبي: أي لم يمدَّ بصره إلى غير ما رأى من الآيات، وهذا وهذا

وصف أدب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك المقام إذ لم يلتفت يميناً ولا شمالاً وقال الخازن: لما تجلَّى رب العزة وظهر نوره، ثبت صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول، وتزلُّ فيه الأقدام، وتميل فيه الأبصار **{لَقَدْ رأى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكبرى}** أي والله لقد رأى محمد ليلة المعراج عجائب ملكوت الله، رأى سدة المنتهى، والبيت المعمور، والجنة والنار، ورأى جبريل في صورته التي يكون عليها في السموات له ستمائة جناحٍ، ورأى رفرفاً أخضر من الجنة قد سدَّ الأفق، وغير ذلك من الآيات العظام قال الفخر: وفي الآية دليلٌ على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ليلة المعراج آياتِ الله ولم يرَ الله كما قال البعض، ووجهه أن الله ختم قصة المعراج برؤية الآيات، وقال في الإسراء **{لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ}** [الإسراء: 1] ولو كان رأى ربه لكان ذلك أعظم ما يمكن ولأخبر تعالى به **{أَفَرَأَيْتُمُ اللات والعزى وَمَنَاةَ الثالثة الأخرى}** أي أخبرونا يا معشر الكفار عن هذه الآلهة التي تعبدونها «اللات والعزة ومناة» هل لها من القدرة والعظمة التي وُصف بها رب العزة شيء حتى زعم أنها آلهة؟ قال الخازن: هذه أسماء أصنام اتخذوها آهلة يعبدونها، واشتقوا لها أسماء من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ فقالوا من الله اللات، ومن العزيز العُزَّى، وكانت اللات بالطائف، والعُزَّى بغطفان وقد حطمها خالد بن الوليد، ومناة صنم لخزاعة يعبده أهل مكة **{أَلَكُمُ الذكر وَلَهُ الأنثى}** ؟ توبيخٌ وتقريع أي ألكم يا معشر المشركين النوع المحبوب من الأولاد وهو الذكر، وله تعالى النوع المذموم بزعمكم وهو الأنثى؟ **{تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضيزى}** أي تلك القسمة قسمة جائرة غير عادلة حيث جعلتم لربكم ما تكرهونه لأنفسكم قال الرازي: إنهم ما قالوا لنا البنون وله البنات، وإنما نسبوا إلى الله البنات وكانوا يكرهونهن كما قال تعالى **{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ}** [النحل: 62] فلما نسبوا إلى الله البنات حصل من تلك النسبة قسمة جائرة **{إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم}** أي ما هذه الأوثان إلا أسماء مجردة لا معنى تحتها لأنها لا تضر ولا تنفع، سميتموها آلهة أنتم وآباؤكم وهي مجرد تسميات ألقيت على جمادات **{مَّآ أَنزَلَ الله بِهَا مِن سُلْطَانٍ}** أي ما أنزل الله بها من حجة ولا برهان **{إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظن وَمَا تَهْوَى الأنفس}** أي ما يتبعون في عبادتها إلا الظنون والأوهام، وما تشتهيه أنفسهم مما زينه لهم الشيطان **{وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الهدى}** أي والحال أنه قد جاءهم من ربهم البيان الساطع، والبرهان القاطع على أن الأصنام ليست بآلهة، وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار قال ابن الجوزي: وفيه تعجيبٌ من حالهم إذ لم يتركوا عبادتها بعد وضوح البيان **{أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تمنى}** أي ليس للإنسان كل ما يشتهي حتى يطمع في شفاعة الأصنام قال الصاوي: والمراد بالإنسان الكافر، وهذه الآية تجر بذيلها على من يلتجىء لغير الله طلباً للفاني، ويتبع هوى نفسه فيما تطلبه فليس له ما يشتهي، واتباعُ الهوى هوان **{فَلِلَّهِ الآخرة والأولى}** أي فالملك كله لله يعطي من

يشاء ويمنعم من يشاء، لأنه مالك الدنيا والآخرة، وليس الأمر كما يشتهي الإنسان، بل هو تعالى يعطي من اتبع هداه وترك هواه.

ثم أكَّد هذا المعنى بقوله {وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السماوات} أي وكثير من الملائكة الأبرار الأطهار المنبثين في السموات {لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً} أي أن الملائكة مع علو منزلتهم ورفعة شأنهم لا تنفع شفاعتهم أحداً إلا بإذن الله، فكيف تشفع الأصنام مع حقارتها؟! {إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ الله لِمَن يَشَآءُ ويرضى} أي إلا من بعد أن يأذن تعالى في الشفاعة لمن يشاء من أهل التوحيد والإيمان ويرضى عنه كقوله تعالى: {وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارتضى} [الأنبياء: 28] قال ابن كثير: فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة الأصنام والأنداد عند الله تعالى؟ ثم أخبر تعالى عن ضلالات المشركين فقال {إِنَّ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخرة} أي لا يصدقون بالبعث والحساب {لَيُسَمُّونَ الملائكة تَسْمِيَةَ الأنثى} أي ليزعمون أنهم إناثٌ وأنهم بناتُ الله {وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ} أي لا علم لهم بما يقولون أصلا، لأنهم لم يشاهدوا خلق الملائكة، ولا جاءهم عن الله حجة أو برهان {إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظن} أي ما يتبعون في هذه الأقوال الباطلة إلا الظنون والأوهام {وَإِنَّ الظن لاَ يُغْنِي مِنَ الحق شَيْئاً} أي وإن الظنَّ لا يجدي شيئاً، ولا يقوم أبداً مقام الحق {فَأَعْرِضْ عَن مَّن تولى عَن ذِكْرِنَا} أي فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين الذين استنكفوا عن الإيمان والقرآن {وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الحياة الدنيا} أي وليس له همٌ إلا الدنيا وما فيها من النعليم الزائل، والمتعة الفانية قال أبو السعود: والمراد النهيُ عن دعوة المعرض عن كلام الله وعدم الاعتناء بشأنه، فإن من أعرض عما ذكر، وانهمك في الدنيا بحيث صارت منتهى همته وقاصرى سعيه، لا تزيده الدعوة إلا عناداً وإصراراً على الباطل {ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ العلم} أي ذلك نهاية علمهم وغاية إدراكهم أن آثروا الدنيا على الآخرة {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهتدى} أي هو عالم بالفريقين: الضالين والمهتدين ويجازيهم بأعمالهم {وَلِلَّهِ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الأرض} أي له كل ما في الكون خلقاً وملكاً وتصرفاً ليس لأحدٍ من ذلك شيء أصلاً {لِيَجْزِيَ الذين أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ} أي ليجازي المسيء بإساءته {وَيِجْزِيَ الذين أَحْسَنُواْ بالحسنى} أي وليجازي المحسن بالجنة جزاء إحسانه قال ابن الجوزي: والآية إخبارٌ عن قدرته وسعة ملكه، وهو كلام معترض بين الآية الأولى وبين قوله {لِيَجْزِيَ الذين أَسَاءُواْ} لأنه إذا كان أعلم بالمسيء وبالمحسن جازى كلاً بما يستحقه، وإنما يقدر على مجازاة الفريقين إذا كان واسع الملك.

ثم ذكر تعالى صفات المتقين المحسنين فقال {الذين يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإثم} أي يبتعدون عن كبائر الذنوب كالشرك والقتل وأكل مال اليتيم {والفواحش} أي ويبتعدون عن الفواحش جمع فاحشة وهي ما تناهى قبحها

عقلاً وشرعاً كالزنى ونكاح زوجة الأب لقوله تعالى **{**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً**}** [الإسراء: 32] وقوله **{**وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النسآء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَآءَ سَبِيلاً**}** [النساء: 22] **{**إِلاَّ اللمم**}** أي إلا ما قلَّ وصغر من الذنوب قال القرطبي: وهي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله كالقبلة والغمزة والنظرة وفي الحديث «إن الله عَزَّ وَجَلَّ كتب على ابن آدم حظه من الزنى، أدرك ذلك لا محالة، فزنى العينين النظر، وزنى اللسان النطقُ، والنفسُ تتمنى وتشتهي، والفرج يصدِّق ذلك أو يكذبه» فإذا اجتنب العبد كبائر الذنوب غفر الله بفضله وكرمه الصغائر لقوله تعالى **{**إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**}** [النساء: 31] يعني الصغائر **{**إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المغفرة**}** أي هو تعالى غفار الذنوب ستار العيوب، يغفر لمن فعل ذلك ثم تاب قال ابن كثير: أي رحمته وسعت كل شيء، ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها قال البيضاوي: ولعله عقَّب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين، لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته، ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى **{**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأرض**}** أي هو جل وعلا أعلم بأحوالكم منكم قبل أن يخلقكم، ومن حين أن خلق أباكم آدم من التراب **{**وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**}** أي ومن حين أن كنتم مستترين في أرحام أُمهاتكم، فهو تعالى يعلم التقيَّ والشقي، والمؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، علم ما تفعلون وإلى ماذا تصيرون **{**فَلاَ تزكوا أَنفُسَكُمْ**}** أي لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، ولا تشهدوا لها بالكمال والتقى، فإن النفس خسيسة إذا مُدحت اغترت وتكبَّرت قال أبو حيان: أي لا تنسبوها إلى الطهارة عن المعاصي، ولا تثنوا عليها، فقد علم الله منكم الزكيَّ والتقي قبل إخراجكم من صلب آدم، وقبل إخراجكم من بطون أُمهاتكم **{**هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتقى**}** أي هو تعالى العالم بمن أخلص العمل، واتقى ربه في السر والعلن.

المنَاسَبَة: لما ذكر تعالى في الآيات السابقة سفاهات المشركين وضلالاتهم في عبادتهم للأصنام، وميَّز بين المؤمنين والمجرمين، ذكر هنا نوعاً خاصاً من أهل الإجرام، وختم السورة الكريمة ببيان ما حلَّ بالمكذبين من أنواع العذاب والدمار، تذكيراً للمشركين بانتقام الله من أعدائه المكذبين لرسوله.

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (33) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (34) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (35) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (42) وَأَنَّهُ

هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (47) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (48) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (49) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (50) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى(51) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (52) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (53) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (54) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (55) هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى (56) أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (57) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (58) أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (61) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا(62)

اللغَة: **{**وأكدى**}** قطع العطاء مأخوذ من الكُدية يقال لمن حفر بئراً ثم وجد صخرة تمنعه من إتمام الحفر قد أكدى، ثم استعمله العرب لمن أعطى ولم يتمم، ولمن طلب شيئاً فلم يبلغ آخره قال الحطيئة:

فأعطى قليلاً ثم أكدى عطاءه ومن يبذل المعروف في الناس يُحمد

{وأقنى**}** أعطاه الكفاية من المال ورضَّاه بما أعطاه قال الجوهري: قني الرجل يقنى مثل غني يغنى أي أعطاه الله ما يُقتنى من المال والنشب، وأقناه الله رضَّاه **{**الشعرى**}** الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر **{**أَزِفَتِ**}** قربت قال كعب بن زهير: بان الشباب وهذا الشيبُ قد أزفا .... ولا أرى لشبابٍ بائنٍ خلفا. والآزفة القيامة سيمت بذلك لقربها ودونها **{**سَامِدُونَ**}** لاهون ولاعبون، والسمودُ اللهو.

سَبَبُ النّزول: روي أن «الوليد بن المغيرة» جلس عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسمع وعظه، فتأثر قلبه بما سمع وكاد أن يُسلم، فعيَّره رجلٌ من المشركين وقال: تركت دين آبائك وضلَّلتهم وزعمت أنهم في النار؟! فقال الوليد: إني خشيتُ عذاب الله، فضمن له الرجل إن هو أعطاه شيئاً من ماله، ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ، فأعطاه بعض الذي ضمن له ثم بخل ومنعه الباقي فأنزل الله **{**أَفَرَأَيْتَ الذي تولى وأعطى قَلِيلاً وأكدى**}** الآيات.

التفسِير: **{**أَفَرَأَيْتَ الذي تولى**}** أي أخبرني يا محمد عن هذا الفاجر الأثيم الذي أعرض عن الإيمان واتباع الهوى؟ **{**وأعطى قَلِيلاً وأكدى**}** أي وأعطى لصاحبه الذي عيَّره قليلاً من المال المشروط ثم بخل بالباقي قال مجاهد: نزلت في الوليد بن المغيرة **{**أَعِندَهُ عِلْمُ الغيب فَهُوَ يرى**}** أي أعنده علمٌ بالأمور الغيبية حتى يعلم أن صاحبه يتحمل عنه العذاب؟ **{**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ موسى**}** أي لم يُخبر بما في التوراة المنزلة على موسى **{**وَإِبْرَاهِيمَ الذي وفى**}** أي وبما في صحف إبراهيم الذي تمَّم ما أُمر به من طاعة الله

وتبليغ رسالته، على وجه الكمال والتمام قال الحسن: ما أمره الله بشيء إلا وفّى به كقوله تعالى {وَإِذِ ابتلى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} [البقرة: 124] {أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى} أي أن لا تحمل نفسٌ ذنب غيرها، ولا يؤاخذ أحدٌ بجريرة غيره، والآية ردٌّ على من زعم أنه يتحمل العذاب عن غيره كقوله تعالى {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لِلَّذِينَ آمَنُواْ اتبعوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ}{العنكبوت: 12] {وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سعى} أي وأنه ليس للإنسان إلا عمله وسعيه قال ابن كثير: أي كما لا يُحمل عليه وزرُ غيره، كذلك لا يحصل له الأجر إلا ما كسب هو لنفسه {وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يرى} أي وأن عمله سيُعرض عليه يوم القيامة، ويراه في ميزانه قال الخازن: وفي الآية بشارة للمؤمن، وذلك أن الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غماً {ثُمَّ يُجْزَاهُ الجزآء الأوفى} أي ثم يُجزى بعمله الجزاء الأتم الأكمل، وهو وعيدٌ للكافر ووعدٌ للمؤمن {وَأَنَّ إلى رَبِّكَ المنتهى} إي إليه جل وعلا المرجع والمآب والمصير فيعاقب ويثيب. . ثم شرع تعالى في بيان آثار قدرته فقال {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وأبكى} أي هو الذي خلق الفرح والحزن، والسرور والغم، فأضحك في الدنيا من أضحك، وأبكى من أبكى قال مجاهد: أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار {وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا} أي خلق الموت والحياة فهو جل وعلا القادر على الإماتة والإحياء لا غيره، ولهذا كرر الإسناد «هو» لبيان أن هذا من خصائص فعل الله {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزوجين الذكر والأنثى} أي أوجد الصنفين الذكر والأنثى من أولاد آدم ومن كل حيوان قال الخازن: والغرض أنه تعالى هو القادر على إيجاد الضدين في محل واحد: الضحك والبكاء، والإحياء والإماتة، والذكر والأنثى، وهذا شيء لا يصل إليه فهم العقلاء ولا يعلمونه، وإنما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة، وفيه تنبيه على كمال قدرته، لأن النطفة شيء واحد خلق خلق الله منها أعضاء مختلفة، وطباعاً متباينة، وخلق منها الذكر والأنثى، وهاذ من عجيب صنعته وكمال قدرته، ولهذا قال {مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تمنى} أي خلق الذكر والأنثى من نطفة إذا تدفقت من صلب الرجل، وصُبّت في رحم المرأة {وَأَنَّ عَلَيْهِ النشأة الأخرى} أي وأن عليه جل وعلا إعادة خلق النَّاس للحساب والجزاء، وإحياؤهم بعد موتهم قال في البحر: لما كانت هذه النشأة ينكرها الكفار بولغ فيها بقوله تعالى {عَلَيْهِ} كأنه تعالى أوجب ذلك على نفسه {وَأَنَّهُ هُوَ أغنى وأقنى} أي أغنى من شاء، وأفقر من شاء وقال ابن عباس: أعطى فأرضى، أغنى الإنسان ثم رضاه بما أعطاه {وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشعرى} أي هو ربُّ الكوكب المضيء المسمَّى بالشعرى الذي كانوا يعبدونه قال أبو السعود: أي هو رب معبودهم وكانت خزاعة تعبدها سنَّ لهم ذلك رجلٌ من أشرافهم هو «أبو كبشة» {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأولى} أي أهلك قوم عاد القدماء الذين بُعث لهم نبيُّ الله «هود» عليه السلام، وكانوا من أشد الناس وأقواهم، وأعتاهم على الله وأطغاهم، فأهلكهم الله بالريح الصرصر العاتية قال البيضاوي: سميت عاداً الأولى أي القدماء لأنهم

أُولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح عليه السلام **{وَثَمُودَ فَمَآ أبقى}** أي وثمود دمَّرهم فلم يُبق منهم أحداً **{وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ}** أي وقوم نوح قبل عادٍ وثمود أهلكناهم **{إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وأطغى}** أي كانوا أظلم من الفريقين، وأشد تمدراً وطغياناً ممن سبقهم، قال في البحر: كانوا في غاية العتو والإيذاء لنوح عليه السلام، يضربونه حتى لا يكاد يتحرك، ولا يتأثرون بشيء مما يدعوهم إليه قال قتادة: دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، كلما هلك قرن نشأ قرن، حتى كان الرجل يأخذ بيد ابنه يتمشى به إلى نوح ليحذره منه ويقول له: يا بني إن أبي مشى بي إلى هذا وأنا مثلك يومئذٍ فإياك أن تصدقه، فيموت الكبير على الكفر، وينشأ الصغير على بغض نوح **{والمؤتفكة أهوى}** أي وقرى قوم لوط أهواها فأسقطها علىالأرض بعد أن انقلبت بهم فصار عاليها سافلها، وذلك أن جبريل رفعها إلى السماء ثم أهوى بها **{فَغَشَّاهَا مَا غشى}** أي فغطَّاها من فنون العذاب ما غطَّى، وفيه تهويلٌ للعذاب وتعميمٌ لما أصابهم منه قال في البحر: والمؤتفكة هي مدائن قوم لوط، سميت بذلك لأنها انقلبت بأهلها، رفعها جبريل عليه السلام ثم أهوى بها إلى الأرض، ثم أمطرت عليهم حجارة من سجيل منضود فذلك قوله **{فَغَشَّاهَا مَا غشى}** **{فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكَ تتمارى}** أي فبأي نعم الله الدالة على وحدانيته وقدرته تتشكك أيها الإنسان وتكذب!! **{هذا نَذِيرٌ مِّنَ النذر الأولى}** أي هذا هو محمد رسول الله منذر كسائر الرسل ومن جنس المنذرين الأولين وقد علمتم ما حلَّ بالمكذبين **{أَزِفَتِ الآزفة}** أي دنت الساعة واقترتب القيامة قال القرطبي: سميت آزفة لدنوها وقرب قيامها **{لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ الله كَاشِفَةٌ}** أي لا يقدر على كشفها وردها إذا غشيت الخلق بأهوالها وشدائدها إلا الله تعالى **{أَفَمِنْ هذا الحديث تَعْجَبُونَ}** ؟ استفهامٌ للتوبيخ أي أفمن هذا القرآن تعجبون يا معشر المشركين سخرية واستهزاءً؟ **{وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ}** أي وتضحكون عند سماعه، ولا تبكون من زواجره وآياته؟ وقد كان حقكم أن تبكوا الدم بدل الدمع حزناً على ما فرطتم **{وَأَنتُمْ سَامِدُونَ}** أي وأنتم لاهون غافلون؟ **{فاسجدوا لِلَّهِ واعبدوا}** أي فساجدوا لله الذي خلقكم وأفردوه بالعبادة، ولا تبعدوا اللات والعزى، ومناة والشعرى، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لا يليق السجود والعبادة إلاَّ له جلا وعلا.

تنبيه: كانت الأصنام التى عبدها المشركون كثيرة تقرب من ثلاثمائة وستين صنما ومعظمها حول الكعبة ، وقد حطمها ، عند فتحه لمكة ، وأشهر هذه الأصنام " اللات ، والعزى ، ومناة " وقد أرسل (ص) عام الفتح خالد بن الوليد ليحطم العزى فحطمها وهو يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

وانتهت بفتح مكة عبادة الأوثان والأصنام ، ودخل الناس في دين الإسلام أفواجا أفواجا، والحمد لله على فضله وإنعامه.

الوحدة الخامسة

ترجمة معانى القرآن الى اللغة المليبارية

أن أسلوب القرآن الكريم أسلوب مميز وفريد؛ مميز في بيانه، وفريد في إعجازه، ما يجعل عملية ترجمته إلى لغة أخرى عملية في غاية الصعوبة؛ بسبب صعوبة نقل الخصائص البلاغية والبيانية للقرآن الكريم.

الترجمة تطلق في اللغة على معنيين :

الأول :نَقْلُ الكلام من لغة إلى لغة أخرى،

الثاني :تفسير الكلام وبيان معناه بلغة أخرى . قال الزَّبيدي في "تاج العروس": "والتَّرجُمان المفسِّر للسان، وقد ترجمه وترجم عنه: إذا فسر كلامه بلسان آخر. وقال الجوهري :وقيل: نقله من لغة إلى لغة أخرى" .

وعلى هذا: فالترجمة تنقسم إلى قسمين: ترجمة حرفية، وترجمة معنوية أو تفسيرية .

<u>تعريف و معنى ترجمة في قاموس المعجم الوسيط ،</u>

ترجمة الأديب: سيرته وحياته :- تراجم الصحابة .

تَرْجَمَةٌ جمع : تَرَاجِمُ . (مصدر تَرْجَمَ).

1 . :- هَذَا الكتِاَبُ مِنْ تَرْجَمَةِ الْمُتَرْجِمِ :- : نَقْلُ الكَلاَمِ مِنْ لُغَةٍ إلَى أُخْرَى .

2 . :- قَدَّمَ تَرْجَمةً كَامِلَةً لِحَيَاةِ الكَاتِبِ :- : ذَكَرَ سِيرَتَهُ وَحَيَاتَهُ .

3 . :- تَرْجَمَةُ الْمَعْنَى :- : تَفْسِيرُهُ .

" التُّرْجُمانُ والتَّرْجَمان : المفسِّر للسان . وفي حديث هِرَقْلَ :، قال لتُرْجُمانه ؛

وأول ترجمة للقرآن الى لغة كيرالا كانت الى اللغة الملیالمية العربية، ولما ضعفت رغبة المسلمين فى لغة الملیالمية العربية اعتمد العلماء على اللغة الملیالمية، وألف كثير من العلماء تراجم القرآن، وبعضهم ترجموا مع التفسير، ومنهم من أكمل ومنهم من تناول الأجزاء او بعض السور.

التفاسير فى عربى - ملیالم

1 **"ترجمة تفسير القرآن" - 1969م**

المؤلف: ماهين كتي إليا (ستة مجلدات)

الناشر:مطبعة لتوا في قصر أركل

2 **" ترجمان القرآن"**

المؤلف: عمر مولوي، وجدد خطها بلغة ملیالم سنة 1970م (ستة مجلدات)

نشر الجزء الأول سنة 1955 والثاني والثالث في 1960 والرابع 1962 والخامس 1963 والسادس 1965

تراجم القرآن والتفاسير فى اللغة الملیالمية

3 **"تفسير القرآن الحكيم"**

المؤلف : سي. أن. أحمد مولوي

الجزء الأول 1953 والثاني 1954 والثالث 1958 والرابع 1962

فى هذا التفسير ان المصنف ترجم القرآن وفسره بعبارة سهلة، ولكن بعض العلماء ينقده على تفسيره لأنه ينكر فى هذا التفسير معجزات الرسل، مثل : حادثة انشقاق البحر الأحمر لموسي عليه السلام وواقعة إيتاء كرسي بلكيس وقوة تكلم سليمان للنملة وغيرها وحادثة الإسراء والمعراج.

4 **"قرآن مجيد" 1960**

المؤلف: كوياكوتي مولوي موتانشيري

فيه تراجم الآيات مع الشرح لبعض الآيات

الناشر : مطبعة "ليكا" ثم مطبعة "مورال" بكوتيم

5 **"فتح الرحمن في تفسير القرآن" 1980**

المصنف: كي. وي. محمد مسليار كوتناد (أربعة مجلدات)

وفى هذا التفسير ان المصنف يذكر معنى الآية جملة، ثم يبيّنه بيانا واضحا مع ذكر الإختلافات بين العلماء، ثم يثبت ما هو صحيح عنده معتمدا على الدلائل والبراهين. وكذلك يرد على آراء سي.ان. مولوي فى تفسيره. جدده بهاودين ندوي كورياد في خمسة مجلدات وأضيفت حقائق علمية.

6 **"ترجمة القرآن"**

المصنف: تي. كي. عبد الله المولوي الماتول

7 **"تفسير القرآن الكريم"**

المصنف : محمد بن حسن الأماني. (بدأ تأليفه سنة 1960م واكمل سنة 1985 م)

الناشر : ندوة المجاهدين بكيرلا

وفى هذا التفسير أتى المؤلف أولا بترجمة معاني الآيات جملة بحيث يقدر القارئ على فهمها بالجملة. وكتب ثانيا معاني المفردات بحيث يقدر القارئ على فهم معنى كل كلمة بالدقة. وكتب ثالثا بيان معاني الآيات مفصلا بحيث يقدر القارئ فهم معنى كل آية حق الفهم. وذكر الأحاديث النبوية التي توضح الآيات. وذكر آراء المفسرين المشهورين المختلفة في معاني الآيات.

8 "تنوير القرآن الكريم"

المصنف: عبيد الله محمد عبد اله

وهذا التفسير أيضا صنّف على أسلوب تفسير الأماني المقتقدم ذكره. فذكر المصنف أولا معنى الآية جملة، ثم معاني الجمل المفردات، ثم بينه بيانا واضحا.

9 "ترجمة القرآن الكريم" 1954م

المؤلف: بي. محمد ميدين وكّم

الناشر الجديد: جامعة كيرلا (2009)

هذه الترجمة هي الترجمة الأولى في اللغة المليبارية. انه ترك كتابة آيات القرآن من ترجمته.

10 "القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة المليبارية"

المصنف: عبد الحميد جيريا موندم وكنج محمد بربور

الناشر: الدعوة الإسلامية من السعودية العربية وأنها توزّع مجانا من الدولة العربية السعودية،

11 **"فتح التعليم في تفسير القرآن العظيم" 1992م**

المصنف: عبد الرحمن المخدوم أول مفسر من أسرة المخدوم

12 **"القرآن "**

المصنف: عبد الغفار مولوي القاسمي

الناشر: دي. سي. بوكس

13 **"أنوار القرآن" 1999 م**

المصنف: عبد السلام السلمي (ثلاثة مجلدات)

14 **"تفسير"**

المصنف: مصطفي الفيضي (مجلدان)،

كتب مع القصص وشرح كثير لكل آية

15 "البيان في معاني القرآن" 2001 م

المصنف: السيد أحمد شهاب الدين إنبجي كويا تنغل (القاضي الكبير بكاليكوت)

16 **"ترجمة القرآن"**

المصنفان: وي. أس. سليم وكونجي محمد بولوت

الناشر: مؤسسة مناز

17 **"ترجمة القرآن" 2008** م

المصنف: رحمة الله القاسيمي بموتايدم

الناشر : I S A

التفاسير المترجمة

18 في ظلال القرآن لسيد قطب

المترجم: د. محي الدين الآلواي

الناشر: مؤسسة كرونا: التوزيع: مؤسسة مناز

19 **تفهيم القرآن لأبى الأعلى المودودي**

المترجم: تي كي عبيد

الناشر: دار النشرة الإسلامية

20 **التفسير الكبير**

المترجم: كي. وي. أم. بانتاوور (أصدر أربعة مجلدات)

21 "ترجمة معاني القرآن الكريم" 2015

بهاء الدين محمد ندوي

ترجمة بليغة حسب المعاني. وقد زينت أسلوب تقدمها وتبيانها مع سهل العبارات تنبيها وتأنيسا لأمم كيرلا.

22 **VISHWA SACHARITHA MAALA**

عبد الرحمن كي. أن. , كريم بي. أي.، رؤوف كي. أي.

التفسير بلا آيات القرآن

<u>ترجمة القرآن في أسلوب الشعر</u>

23 . **AMURTHA VANI**

كي. جي. راكون ناير

الناشر: دار النشر الإسلامي(IPH)

24 **ترجمة القرآن من الجماعة الأحمدية**

المؤلف: المولوي محمد عبد الوفى

الف بمراجعة التفاسير الإنجليزية الأحمدية. وفى هذه الترجمة ينكر المترجم المعجزات وخاتم النبوة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

Model Question Paper

First Semester B.A. Afzalul Ulama Degree Examination

Complementary Course

AFU1C01 Thafsir Literature 5

Time: 1½ Hrs Marks : 40

I أجب عن الآتية **6 x ½ = 3**

1 صاحب تفسير المنار؟

2 مؤلف تفسير الكشاف؟

3 قل إني أمرت أن أعبد الله ----- له الدين(مخلصا ,مؤمنا ,موحدا)

4 إنك ميت و -----ميتون(إنكم ,إنهم ,إنهن)

5 إني -----بشرا من طين(خلق ,خالق ,مخلوق)

6 بل الله فاعبد وكن من(----- مخلصين ,شاكرين ,صادقين)

II أجب خمسة من الآتية **5 x 2 = 10**

7 الامر بفهم القرآن؟

8 أنواع التفسير؟

9 تعريف القرآن؟

10 السور المكية والمدنية؟

11 تفسير ابن كثير؟

12 تفسير الطبري؟

III اكتب مذكرة عن ثلاثة من الآتية **3 x 5 =15**

13 محمد رشيد رضا؟

14 السيوطي؟

15 أصول التفسير؟

16 حكم روايات الاسرائيلية

IV اكتب مقالة واحدة من الآتية **1 x 12 =12**

17 اكتب عن فوائد سورة الزمر؟

18 ترجمات معاني القرآن إلى اللغة المليبارية؟